احداث بلاد طرابلس الشام

١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ
١٦٠٦ م / ١٦٠٧ م

للدكتور عدنان البخيت

بُعَيدَ نهاية القرن السادس عشر الميلادي بدأت السلطنة العثمانية تعاني من أسباب الضعف والانحطاط (١) ؛ ومن مظاهر هذا الضعف كثرة حركات العصيان التي أصبحت تلفّ مختلف الولايات العثمانية، حيث كان من أبرزها الحركة الجلالية التي اكتسحت بلاد الاناضول، مستغلّةً المظالم الاجتماعية التي كانت قد لحقت بريف تلك الهضبة (٢). ولم تكن هذه الحركة لِتَمُرَّ دون ان تترك لها اثرا على المناطق العثمانية، خاصّةً المحاذية لها كحلب وبلاد طرابلس الشام (٣) . ولعلّه من المفيد

---

(١) حول أسباب ضعف الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر انظر :
Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, 2nd edition, Oxford University Press, 1968, pp. 21 - 39, Inalcik, Halil, The Ottoman Empire: The Classical Age 1300 - 1600, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973, pp. 41 - 52.

(٢) حول الحركة الجلالية انظر دراسة :
Mustafa Akdag, Turk Halkinin Dirlik Ve Duzenlik Kavgasi, Bilgi Yayinlari, Ankara, 1975.

وكذلك رسالة
Griswold, W. J., Political Unrest and Rebellion in Anatolia 1605 - 1609 Ph. D. Thesis, University of California, Los Angeles, 1966.

(٣) حول هذا الموضوع : انظر مزيدا من التفصيلات في الترجمة التي أوردها حسين ابن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) لعبد الحليم اليازجي « اليازجي الخارجي » (ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م) ، تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، م ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٣ ، م ٢ ، ص ٢٥٩ — ٢٧٠ ، كذلك انظر : المحبي ، محمد امين (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، ٤ م ، تصوير دار صادر بيروت ، لا . ت ، م ٢ ، ص ٣٢٢ — ٣٢٤ .

هنا أن نتذكّر أن السلطنة العثمانية،انسجاما مع سياستها التقليدية (٤) ، لم تُلغِ الزعامات المحلّية المتعاونة معها في بلاد الشام بعد ضمّ هذه البلاد الى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الاول،بعد معركة مرج دابق (٢٥ رجب ٩٢٢ هـ / ٢٤ آب ١٥١٦ م) ، اذ أن معظم هذه الزعامات حافظت على وجودها مُستكينةً بإبّان قوّة الدولة ضمن الاطار العثماني . الا أنها بدأت تتحرّك في الربع الأخير من القرن السادس عشر لتُوسّع من دائرة نفوذها على حساب السلطة العثمانية المحلّية ، ولكن ليس بقصد الاستقلال عن السلطنة العثمانية . ولقد استفادت من انشغال الدولة العثمانية في حروبها الطويلة المستديمة على الجبهتين الصفوية والنمساوية،بالاضافة الى الخسائر التي تكبّدها العثمانيون في اخضاع حركات التمرّد والعصيان في اليمن وفي غيرها (٥) من بلدان سلطنتهم . كما انه كان قد تَرتّب على انتصار تحالف البابوية واسبانيا والبندقية في معركة ليبانتو Lepanto البحرية،في السابع من تشرين الاول سنة ١٥٧١ م،أن قوّة الدولة العثمانية البحرية،من حيث العَدد والعُدّة والنوعية والحالة النفسية، قد أصبحت دون مستوى الاساطيل الاوروبية (٦) ، وان الدول الاوروبية ، خاصة الكاثوليكية منها ، قد عاودتها من جديد الفكرة

---

(٤) انظر مقالة :

Inalcik, H., "Ottoman Methods of Conquest", Studia Islamica, Vol. II (1954), pp. 102 - 29.

(٥) انظر :

Bakhit, M. A., The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Ph. D. Thesis, SOAS, London, 1972, pp. 186 - 221.

(٦) حول معركة ليبانتو انظر :

Creasy, Edward S.,

Hisory of the Ottoman Turks, Reprint, Khayats, Beirut, 1961, pp. 219-22.

Inalick, H. The Ottoman Empire, pp. 41 - 42.

كذلك انظر التحليل العسكري لهذه المعركة من الناحية الحربية في دراسة :

Guilmartin JR., John Francis, Gunpowder and Galleys; Changing Technology and Mediterranean Warfare at Sea in the Sixteenth Century, Cambridge University Press, 1974, pp. 221 - 252.

الصليبية المستهدفة استخلاص فلسطين من ايدي المسلمين ، ولكن هذه المرة ليس بارسال حملات من أوروبا،بل بالاعتماد على بعض القوى المحلية من الاقليات العرقية والمذهبية لتنفيذ هذا المخطط (٧) . وكان من ابرز هذه القوى الأسرة المعنية الدرزية،والأسرة الجانبولاطية الكردية في كلس واعزاز . ولقد وسّعت الاسرة الأخيرة من دائرة نفوذها،بحيث أنيطت ولاية حلب في مطلع القرن السابع عشر بزعيمها آنذاك،حسين باشا جانبلاط،الذي نتيجة لتلكئه في الانضمام الى حملة الوزير سنان باشا جغال زاده ضد الشاه عباس الاول (٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م — ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩ م) امر الوزيرُ المذكور بقتله في بلدة وان التركية سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م (٨) .

---

(٧) حول هذه الخطة انظر :

Salibi, K. "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli" Arabica, Vol. xx, (1973), p. 33.

انظر ايضا لنفس المؤلف ، « فخر الدين المعني الثاني والمكتبة اللبنانية » ، ابحاث القومية اللبنانية ، منشورات جامعة الكسليك ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٥ — ١١١ .

لمزيد من التفصيلات حول هذه الخطة انظر ايضا ما نشره الأب بولس مراد :

١ — "فخر الدين الثاني وعلاقته بفردناند الاول وتوسكانيا" ١٦٠٥ — ١٦٢١ ، حريصا ١٩٣٨ .

٢ — وكتابه الثاني « فخر الدين المعني امير لبنان وفردناند الثاني امير توسكانيا" ١٦٢١ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٨ .

(٨) حسين بن جانبلاط ، كردي الاصل،كان في ابتداء امره من الطائفة العسكرية المعروفة باسم المتفرقة،ثم خَلَف والده في امارة كلس،وتدرّج في المناصب الى ان أوكلت اليه حلب،ولكنه تلكأ في مساندة الوزير سنان باشا في حملته القاضية على بلاد فارس ، وكان من نتيجة ذلك ان سنان باشا امر بقتله في بلدة وان التركية في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م . البوريني ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ١٧١ . انظر المحبي ، خلاصة ، م ٢ ، ص ٨٤ — ٨٧ .

أما سنان يوسف باشا المعروف باسم جغال زادة ، فلقد تربى في القصر السلطاني ، وتولّى عدة مناصب،منها ولاية ديار بكر في سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م،كما تولى بعد ذلك بلاد وان وارضروم وبغداد . وفي سنة ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م تولّى بلاد الشام لبضعة اشهر . في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، اوكلت اليه مهمة قيادة الجيوش العثمانية ضد بلاد فارس ، وكانت وفاته في نفس العام في ديار بكر ؛ انظر ترجمة حياته في محمد ثريا ، سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهير عثمانية ، اسطنبول سنة ١٣١١ ، م ٣ ، ص ١١١ . كذلك انظر محمد بن جمعة المقدسي (ت ح ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م) ، الباشات والقضاة ، نشره صلاح الدين المنجد مع نُصّين آخرين باسم "ولاة دمشق في العهد العثماني" ، دمشق ، ١٩٤٦ م ، ص ٢٦ .

ولمـــا وصل خبر مقتله الى حلب ثـــار ابن اخيه علـــي جانبلاط، « ورفع علـــم العصيان،وجمّع الطائفة الذين يقال لهـــم السكبانية حتى صار عنده منهم مـــا يزيد على عشرة آلاف،ومنع مـــال السلطنة (٩) » .في اثناء ذلك كانـــت قوات الدولة العثمانية مشغولة في حـــرب ضروس مع امبراطورية النمســـا،كما ان قوات الجلالية الخارجة عـــن طاعة السلطان كانت تصول وتجول فـــي بلاد الاناضول ؛ وكان قـــد سَبَق ذلك ان القوات العثمانية قـــد عادت خاسرة من حربها ضد الشـــاه عباس . في مثل تلك الظروف عرض الزعيـــم التركماني الاصل السنّي المذهـــب يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) صاحب عَكّـــار ، والذي كان يُوَلّى من حين لآخر بـــلاد طرابلس ، خدماته على السلطان،عَلَـــى « ان يكون اميرا على عساكر بـــلاد الشام،على ان تكون جمعيّته بحماة،ويلتـــزم بازالة علـــي بك المذكور عن حلب » . فلما جـــاءه الإذن السلطاني بذلك،أرسل يوسف باشا الـــى العساكر العثمانية في دمشـــق وفي غيرها من القلاع للاقامـــه عند حماة . وعند التقاء الجانبين تَمكّن علـــي بك ابن جانبلاط بسهولة نلفت النظـــر من الحاق الهزيمة بالعساكـــر العثمانية بقيادة يوســـف باشا سيفا،الذي تَوَجّه الى طرابلس الشـــام ليهرب منها باموالـه الى جزيرة قبرص،ومنها الى حيفـــا،ملتجئا الى الامير احمـــد الحارثي . ومن هناك عـــاد الى دمشق ليهرب منها الى طرابلس،مقـــرّ سلطته .

ولحسن الحظ يتوافر لدينـــا نَصّان لشاهِدَي عيان لتلـــك الاحداث . صاحب النص الاول،ويعرف باســـم مصطفى بن جمال الدين ابـــن كرامة،

---

(٩) البوريني المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٧١ ، لاحظ تعريف البوريني للسكبانية حيث يقول : « والسكبانية عبارة عـــن طائفة كان وضعهم ان الواحد منهـــم يحمل البندقية على ظهره ويقـــود الكلب في ساجوره،ويمشي امـــام الامير او الكبير حين يسير الى الصيد . وهو لفـــظ فارسي ماخوذ من ســـك ، فاما سك فهو الكلـــب بلغتهم،واما بـــان فهو بمعنى الحامي،اي حامي الكلـــب » م ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ وكانوا يشكّلـــون وحدة بارزة في فرقـــة الانكشارية.انظـــر :

Huart, CL. "Segban" E. I. , Vol. IV, pp. 203 - 4.

Gibb and Bowen, Islamic Society and the West, Oxford University Press, Reprint, 1963, vol. I, part I, pp. 59 - 61, p. 315.

من اهالي طرابلس الشام؛كتب تعليقة حول ما اصاب مدينته نتيجة لحركة علي بن جانبلاط ؛ والنَصّ الثاني للمؤرخ الدمشقي الشيخ حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) الذي يصف لنا دقائق تلك الاحداث ومجرياتها كما كان يراها من دمشق . والنَصّان يكملان ويُعَضُدان بعضهما البعض،ومن هنا جاءت ضرورة نشرهما معاً، حيث انهما ما زالا مخطوطين .

والذي يُهِمّنا هنا ان التعليقة التي بين ايدينا تُصوِّر لنا مشاعر احد ابناء طرابلس،قاعدة السُنَّة،ضمن اطار من الاقليات الاسلامية والمسيحية ، كما انها تبين مدى الولاء القوي من جانب الرعية للسلطان،حيث أنَّ مَن عصاه « قد اطاع الشيطان » . وتُصوِّر لنا كذلك نظرة اهالي طرابلس ليوسف باشا سيفا ؛ وهي نظرة احترام، لأنّ معظم المصادر المتداوَلة بين ايدينا والمعروفة لدينا ، **كتاريخ الازمنة** للبطريرك اسطفان الدويهي (ت ١٦٩٩ م) **وتاريخ الامير حيدر احمد الشهابي** (ت ١٨٣٥ م) **واخبار الاعيان في جبل لبنان** ، لمُنَوِّس الشدياق (ت ١٨٦١ م) ، قد اعتمدت المؤرخ السنّي ، الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) الذي كان معبِّرًا عن وجهة نظر فخر الدين المعني الدرزي المتعاون مع العناصر المسيحية، خاصّة المارونية منها ؛ بينما يوسف باشا سيفا ، كان سنّيًا يتمتع بثقة ودعم الدولة العثمانية له ، رُبّما الى درجة ان السكان كانوا ينظرون اليه على انه رجل الدولة ووكيلها (١٠) . كما ان هذه التعليقة تُبيِّن

---

(١٠) حول مكانة اسطفان الدويهي ومنوس الشدياق في مدرسة التاريخ اللبناني الماروني انظر :

Salibi, Kamal, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, Ibid., "The traditional Historiography of the Maronites", Historians of the Middle East, edited by Bernard Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, 1967, pp. 212 - 225.

انظر في نفس الكتاب مقالة

A. H. Hourani, "Historians of Lebanon" pp. 226 - 245.

حول اهمية دور اسرة آل سيفا في التاريخ المحلي ومن علاقاتها مع القُوى المحلّية

لنسا ان قسما من اهالي طرابلس الشام كانوا قد هُجّروا مدينتهم وركبوا البحر،لعلمهم ان القوى المهاجمة هي قوى عاصية خارجة على طاعة السلطان ، خاصة وان قسما منها كان درزيا بقيادة فخر الدين المعني . ومما زاد في حراجة موقفهم،ان ذلك جاء في الوقت الذي كانت فيه الدولة مشغولة في اجتثاث الجلاليّة،ومشتبكة في حرب مع النمسا ، بالاضافة الى هزيمة العثمانيين امام الشاه عباس الاول،وما ترك ذلك من خيبة ومرارة . فلم يعد لدى سُكّان طرابلس من حيلة الا الهروب الى اقرب الجزر .

يُعرّف صاحب هذه التعليقة نفسه بايجاز كبير حيث يصف نفسه بقوله : « ... العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة ». وعند العودة الى مخطوط **لطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر** (١١) ، لنجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م) والقسم غير المنشور من **تراجم الاعيان من ابناء الزمان** (١٢) ، للحسن بن محمد البوريني ، (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، **وخلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر**، لمحمد امين الدين المحبي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، **وشذرات الذهب في اخبار من ذهب**،لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) فاننا لا نعثر على ذكر لهذا الشخص . زيادة على ذلك فان خير الدين الزركلي وعمر رضا كحالة لا يذكرانه في معجميهما . واما الرحالة رمضان بن موسى ابن احمد المعروف بالعطيفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م) الذي زار طرابلس الشام سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٤ م فانه لا يذكر اسم

- الاخرى انظر مقالتي الدكتور كمال الصليبي :

Kamal S. Salibi,"Northern Lebanon Under the Dominance of Gaza", Arabica, Vol. XIV, (1967), pp. 144 - 166.

"The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640", Arabica, Vol. XX, (1973), pp. 25 - 52.

(١١) مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٤١ ، الاوراق ١٦٨ — ٢١٧ .

(١٢) المكتبة الوطنية،بيّنا Cod. Arab. 1190 Mixt 346

هذا الشخص من ضمن العلماء الذين قابلهم اثناء اقامته في طرابلس (١٣).

الا ان الشيخ والقطب الصوفي عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) يذكر في **التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية**، التي دوّن فيها اخبار رحلته في سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م الى طرابلس ، أنّ من بين من لقيه « ... الشيخ الفاضل والبارع الكامل الشيخ علي بن كرامة »، ويذكر في مكان آخر أن علي بن كرامة قد زاره : « فزارنا في هذا اليوم ايضا عدّة من الأفاضل المكرّمين والعلماء المدرّسين، منهم الشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ علي بن كرامة » . ومن المؤكد ان عليًّا هذا قد زاره مرة ثالثة (١٤) . وعند العودة الى كتاب **تراجم علماء طرابلس وادبائها** لعبد الله حبيب نوفل (ت ١٩٤٧ م) ، لا نجد ذكرا لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة هذا، بل لافراد آخرين كعمر بن مصطفى ابي اللطف (ت ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م) ومصطفى بن عبد الحميد كرامة (١٥) . واذا ما رجعنا الى التعليقة نفسها فاننا نلمس، من ثناياها ومن لغتها ، أن مصطفى هذا كان على مستوى جيّد من حيث تَمَكُّنه من اللغة العربية ، وان له ولدا اسمه عمر ، وَقَعَ معه في الاسر ؛ وما عدا ذلك فان المعلومات التي يوردها عن نفسه قلما تكون شبه معدومة .

---

(١٣) انظر نص الرحلة مع الدراسة التي قدّم لها بها ناشر الرحلة

Stefan Wild "Al-Utaifis Journey to Lebanon in 1043/1634"

مجلّة الأبحاث ، بيروت ، مجلد (٢٣) سنة ١٩٧٠ ، ص ١١٢ ــ ١٢٢ .

لسوء الحظ عند إعداد هذه الدراسة لم أتمكن من الاطلاع على نسخة رحلة يوسف المحاسني (ت ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣ م) ، "المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية"، المحفوظة في مكتبة جامعة اسطنبول تحت رقم ٤٣٢٩ .

(١٤) انظر النابلسي ، الشيخ عبد الغني (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) ، "التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية"، حققها وقدّم لها مريرت بوسة ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ٤٩ ، ص ٧٦ ، ص ٨٧ .

(١٥) نوفل ، عبد الله حبيب ، "تراجم علماء طرابلس وادبائها"، مطبعة الحكمة ، طرابلس ، ١٩٢٩ م ، ص ٣٥ ، ص ١٣٧ ــ ١٣٨ .

ان هذه التعليقة المصنَّفة ضمن مجموعة Levinus Warner (١٦) ، (ت ٢٢ حزيران ١٦٦٥ م) ، قنصل هولندا في اسطنبول ، مسجَّلة في مكتبة جامعة ليدن تحت رقم (١) Cod. Or. 944 (١٧) ، وهي تقع في اربع ورقات،ومجموع أسطُرها مائة واربعة وسبعون سطرا مكتوبة بخط اعتيادي ، ومدونة بتاريخ ١٠١٦ هـ / ١٦٠٦ م ، وعلى الأرجح انها النسخة الأمّ،حيث لم أعثر على اية اشارة اخرى عنها في بقية فهارس المخطوطات المنشورة،وعلى الغالب انها وصلت فارنر باسطنبول عن طريق حلب،بواسطة محمد بن عمر العرضي الحلبي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) ، الذي كان قد اتصل بفارنر،وكان يشتري له المخطوطات العربية ويُزوِّده بها (١٨) ، او عن طريق فردريك اخي

---

(١٦) ليفنوس فارنر Levinus Warner ، من طلبة جامعة ليدن،درس اللغات الشرقية فيها ، وسافر الى اسطنبول سنة ١٦٤٥ م . وفي سنة ١٦٥٥ م عُيِّن قنصلا لهولندا في العاصمة العثمانية ، وبقي في ذلك المنصب الى حين وفاته في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٥ م . وأثناء اقامته الطويلة تلك تمكَّن من شراء عدد كبير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والعبرية التي اوصى بها قبل وفاته لمكتبة جامعة ليدن،لتكون بذلك النواة الاولى لمقتنيات تلك المكتبة من التراث الشرقي . حول حياته واقامته باسطنبول انظر مقالة

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum of Leiden University Library" in Levinus Warner and His Legacy, E. J. Brill, Leiden, 1970, pp. 1 - 31.

(١٧) انظر فهرس مكتبة جامعة ليدن Voorheove, P.

Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands, in Bibliotheca Universalitatis, Lugduni Batavorum, Leiden, 1957, p. 361.

(١٨) محمد بن عمر العرضي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) نسبة الى بليدة العرض في بوادي الشام من اعمال حلب ، من اسرة حلبية معروفة بالعلم ؛ ولي القضاء بحلب،وتولى انتقاء الكتب العثمانية فيها لمدة سنتين ثم سافر الى اسطنبول حيث لم يستمرىء الاقامة هناك،وبعد عودته من العاصمة العثمانية نجده يتولى افتاء الشافعية بعد وفاة اخيه . ونعثر على رسالة منه لفارنر،ونظرا لاهميتها فاننا نورد فصها :

« حضرة بكسر مطارد وواحد الفرائد (نلاحظ انه يكرر مثل هذين التعبيرين حيث يورد له المحبي نصا يذكر فيه ... « حضرة شيخ الاسلام ودرة تاج الملك

فارنر، الذي كـــان قد عمل لفترة قصيرة كقنصل لهولندا في حلـــب (١٩) ، ممّا يدلّ علـــى أن فارنر كان على اتصال بحلـــب ، على مستوى النشاط التجاري ، وكذلك على مستوى تُجّـــار المخطوطات التي تُشِف بشرائها .

تعليقة مصطفى بـــن جمال الدين بن كرامة حول احتفالات سنة ١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ ١٦٠٦ م /١٦٠٧ م .

= ونص الختام بكـــر مطارد العلم وثاني الفرقد » ... خلاصـــة ، م ٤ ، ص ٦٢ ، ايلجي (الصغير) بيك المكـــرم لا زال مدعي العلم لـــه مسلم ، تفاوض جنابه الترحاب (كـــذا النص) . هو ان الواصل اليكم من كتـــب المرحوم كاتب چلبي (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) ستة كتـــب ، نزهة الخاطر للكاتبي،وهـــو كتاب جليل مشتمل على أشعار عربيـــة وفارسية،وثمنه اثنـــا عشر غروشا،والباب الاول من تذكرة ابـــن حمدون وثمنه ستة عشر غروشا،وشرح شواهـــد التلخيص (لبدر الدين الغـــزي) وثمنه أربعة غروش ونصف،وشرح مقامات الحريري ، المتوســـط للشريشي وثمنه ثلثمائـــة عثماني،وجزء من العقد لابن عبد ربـــه وثمنه غرش ونصف،وشرح العبدونية وثمنـــه غرشان،فالمجموع خمســـة وثلاثون غرشا وثلثمائة عثماني.وان كنا قاربنا تاريخ البناكتي (محمـــد بن سليمان الاشعري (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م) صاحب كتاب روضة أولي الالباب في التاريخ، وتاريخ ختاي،وتاريخ خسرون،ورسائل الخوارزمي، فوعدنا الدلالون بهمـــا،يكون معلوما لكم،والفتون ان شاء اللـــه تحصلها والسلام . من الفقير محمـــد العرضي ».ويضيف في حاشية على تلـــك الرسالة ما يلي : « ولا تؤاخذونا باخلاف الوعـــد بالمجيء اليكم يـــوم الاحد الماضي،فانه صار لنا مانع بسل موانـــع.وتبلغ شوقنا الى المربـــوط في الدار بمقتضى تسميتكم نقولا والسلام . وقد اشترينا نحن لانفسنا تاليفـــا لجدّنا ابن الحنبلي (رضي الديـــن) بمائتي عثماني فتفضلوا بها لنـــا والسلام وان شاء اللـــه عن قريب نائبكم » . من هـــذا النص نلحظ بوضوح مـــدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط الاثنين . انظـــر النفاجي ، شهاب الدين احمـــد بن محمـــد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م) ريحانة الألبّـــا وزهرة الحياة الدنيـــا ، ٢ م ، تحقيق عبـــد الفتاح محمـــد الحلو ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧ م ، م ١ ، ص ٢٧٤ ــ ٢٧٨ . المحبـــي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٨٦ ــ ١٠٣ ، البغدادي ، اسماعيل بن محمـــد أمين الباباني (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) ، هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثـــار المصنفين ، م ٢ ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ٢١٤ ؛ انظر ايضـــا : اللوحة رقم ١٢ ، المنشورة صورة لهـــا كملحق لكتـــاب Levinus Warner and His Legacy,

(١٩)

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum", in Levinus Warner and His Legacy P. 10.

رواية تتضمن نكسر أسرنا عند الكفّار والسبب الداعي للفرار وما آل الله بالباغي من الويل والدمار ، والحمد لله الملك القهار والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه السادة الاخيار آناء الليل واطراف النهار صلاة تمحو عن قائلها الاوزار .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبي الله « ونعم الوكيل » (٢٠) . الحمد لله الذي وعد الصابرين المراتب العلية والهمهم الشكر فنالوا به اعظم مزية ، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع عنّا كلّ بليّة ، وتورثنا سعادة ابدية سرمدية ، واشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله القائم بأعباء الرسالة وامر الرعية ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنعوتين بمكارم الاخلاق والصفات البهية صلاة دائمة متوالية يتضاعف ثوابها كل بكرة وعشية . أما بعد فيقول العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة أجاره الله من الزلل والندامة:

لما كان بتاريخ أوائل شهر صفر سنة خمس عشرة بعد الالف وقد حصل على الديار الطرابلسية ما هو ليس بقابل للوصف ، ورد أمر من ذل الله في أرضه القائم بسنّته ونفرضه المؤتمن على حقّه واليد المبسوطة على خلقه ، من احتباه الله لوراثة الرسالة وجعل طاعته فريقا بين الهدى والضلالة لا دنيا الا به ومعه ولا دين الا لمن والا (ه) وتبعه ، كافل الأمّة وراعيها وسايس الملّة وحاميها ، نظام الجملة وجلاء الغمة ورباط النعمة ، من عصى السلطان فقد اطاع الشيطان ، من شايعه حمد في يومه وغده ورعى من العيش في أرغده ومن نابذه صار في خسران وعانقه الخذلان ، جعل الله رايته العليا وآيته الكبرا ، مسا تسابيح القمران (٢١) ، وتوالى الملوان (٢٢) ، واستقر في مكانه جبال لبنان .

---

(٢٠) من سورة آل عمران آية رقم (١٧٣) .

(٢١) القمران : الشمس والقمر ؛ انظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ ١٢١١ م) ، لسان العرب ، ١٥ م ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، م ٥ ، ص ١١٣ .

(٢٢) الملوان ، الليل والنهار، وقيل طرفا النهار ، ابن منظور ، لسان العرب ، م ١٥ ، ص ٢٩٠ — ٢٩٢ .

بعد ان انهي لسدّته،لا زالت الايام طوع ارادته،أنّ علـي بن جان (٢٣) بـولاد بغى واستغنى فطغى وركـب اضاليل الهوى وابابيل المنـى واحاديث النفوس الكواذب ووسـاوس الآمال الخوابث ، جال في تيهه وشقائه وسفاهة عقلـه وقلّة رايه،ودخل في ظلمـة المعصية وخرج من نـور الطاعة وركب المركب الذي لا بـد ان يترجل راكبه بل ينخذل فارسه ، مَـدَّ يدًا قصيرة ليتناول غايـة بعيدة ، أنسلّه عماه وزلّت بـه قدماه ، امتطى ظهـر الاغترار واداع دواعي البوار ، أوقد نارا للحرب بدر منها بوادر الفتنـة وهزرت على يـده شقاشق (٢٤) المحنة ، فلما

---

(٢٣) علـي بك ابن الامير احمـد ابن جانبلاط الكردي ، ابن اخي حسين باشـا جانبلاط ، انابه عمـه في حلب عند خروجه للملاقـاة الوزير السردار سنان باشـا جنال زادة، وعندما وصله نبـا قتل عمه بامر الوزير المذكور رفع راية العصيان في حلب، وكان جيشه المكـوّن من عناصر السكبان الهاربين مـن الخدمة العسكرية يزيد على عشرة آلاف شخص . ومَنَع الوالـي المعيَّن على حلب من الدخول اليها ، وسـار من حلب باتجاه الجنـوب حيث هزم العساكر العثمانية بقيادة يوسـف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) قـرب حماة ، سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م وغنم اشياء كثيرة من معسكـر العساكر الشامية ؛ وبعد هـذا الانتصار استدعى فخر الدين الذي اجاب دعوتـه وانضم اليه في حركة العصيان،فارسـلا واختلّ بالطاق يوسف باشـا سيفا باستثناء قلعـة طرابلس ، وخرّبا بعلبك وتوجها باتجاه دمشق حيث هزما عساكرها للمـرة الثانية في نواحي المرادة،ومـن هناك اتجهت عساكرهم لتهاجم دمشق من جهة المزة،وبـدأ افراد السكبانية والدروز يذهب الاهالي الخارجية لمدينـة دمشق ، ولم يرفع الحصار الا بعد ان دفعت لـه اهالي دمشق مائة وثلاثة وعشرين الـف غرش . وفي طريق عودته مَـرَّ على حمص الاكراد وجرت اتصالات لـه مع يوسف باشا سيفا ، ادت الى عقـد مصاهرة ما بين ابـن جانبلاط ويوسف باشا سيفـا ، ومن هناك عـاد الى حلب فارسل السلطان لـه الوزير الكبير مراد باشـا « لأنّه (اي علـي بك) كان قد قارب ان يملك البـلاد بالاستقلال » وفي القتال الذي نشب قـرب مرعش نجا علي بك جانبلاط براسه الـى مدينة حلب ومنها الى ملاطية،ومـن هناك قصد اسطنبول حيث عفـا عنه السلطان وولاّه سكرتيـة طمشوار ليُقتَل فيما بعـد حوالي ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ . انظـر ترجمته في البوريني ، المصدر ذاتـه ، م ٢ ، ص ٢٧١ ــ ٢٩١ ، المحبـي ، المصدر ذاتـه ، م ٣ ، ص ١٣٥ ــ ١٤٠ .

(٢٤) شقاشق : جمـع الشقشقة وهي « لهـاة البعير،ولا تكون الا للعربي من الابـل » « وقيل هو شيء كالرئـة يخرجها البعير من فيـه اذا هاج » . ابـن منظور ، لسـان العرب ، م ١٠ ، ص ١٨٥ .

تقررت احواله لديـــه،لا زالت حمائم النصر ترفرف بين يديـــه ، عيّن عليه سردارا كافل المملكة الطرابلسيـــة (٢٥) ، لا برحت مـــدا الايام من الاغيار محمية ، أمـــير الامرا الكرام كبـــير الكبرا الفخام : حضرة يوسف باشا بـــن سيفا (٢٦) ، أسعفه اللـــــه في أموره اسعافا وأدام اللـــه أيامه

---

(٢٥) المملكة الطرابلسية : كانت تشكل احدى ممالك ونيابات بلاد الشام في العهد المملوكي ، حول هـذه المملكة انظر ابـا عبد اللـه بن محمد المعروف بشيخ الربوة الدمشقي الانصاري (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م) ، نخبة الدهـر في عجائب البـر والبحر ، تحقيق أ . ممران ، بريل ، ليـدن ، ١٩٢٣ ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٩ ؛ كذلك احمـد بن علـي القلقشندي ، (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، صبح الاعشى في صناعـة الانشا ، القاهرة ، م ٤ ، ص ١٤٢ ــ ١٤٩ ، حول هـذه المملكة في اواخر العهد المملوكي راجع فرس الديـن خليل بن شاهين الظاهـري ، (ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م) ، زبدة كشف الممالك وبيـان الطرق والمسالك ، نشره بولس راويس ، بـاريس ، ١٨٩٤ م ، ص ١٣٣ . أمـا فيما يتعلق بالحياة الثقافية في طرابلس فـي العصور الوسطى ،فتراجع المـادة المجموعة عند عمـر عبد السلام التدمري ، الحياة الثقافية في طرابلس الشـام خلال العصور الوسطى ، بـيروت ، ١٩٧٢ ، هذا بجانب المـادة الوافرة في كتاب أخبار الاعيـان في جبل لبنـان ، ٢ م لطنوس الشدياق (ت ١٨٥٩ م) الذي حققه فـؤاد أفرام البستاني ، بـيروت ، ١٩٧٠ م ، م ١ ، ص ١١ . كذلك انظـر

FR. Buhl, "Tarabulus" E. I. vol. iv, P. 660

وترجمة المقالـة نفسها في دائرة المعارف الاسـلامية ، م ١٥ ، ص ١١٧ ــ ١٢٠ ؛ أمـا مصطلح « كافل » فهو مرادف لمصطلح « نائـب » وهو من القاب كبار النواب كنائب دمشق ، راجـع القلقشندي ، المصدر ذاتـه ، م ٤ ، ص ٤٥٣ .

(٢٦) يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) ، زعيم سُنّي مـن اصل تركماني او كردي ، كانت اسرتـه من القُوى المحلّية البارزة في منطقـة عكار ، واوكلت اليه ولايـة طرابلس الشام اكثر من مـرة ؛ عرف عنه زعامته للجناح اليمني ضـد الجناح القيسي بقيـادة فخر الدين المعني ، ربطتـه علاقات المصاهرة مع المعنيين والجنبلاطيين . حول حياته انظـر : البوريني ، تراجم الاعيان من ابنـاء الزمان ، انظـر النص المنشور أدناه . المحبـي ، خلاصة الاثر ، م ٤ ، ص ٤٧ ــ ٤٩ ، ص ٥٠٣ ، الدويهي ، البطريرك اسطفان (ت ١٧٠٤ م) ، تاريخ الازمنـة ، نشرة الاب فرديناند تونل اليسوعي ، المطبعـة الكاثوليكية ، ١٩٥١ ، ص ٣٢٠ ، كذلك انظـر مقالـة

Salibi, K., "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli, 1579 - 1640" Arabica, vol. XX (1973), PP. 25 - 52.

الزاهرة واعلا مقامـــه في الدنيا والآخـــرة . بولايته الرضية تنام وهم آمنـــون ويصحون (ا ا) بوجوده مسرورون ، نفوسهـــم في ظلال السكون وادعة ، وفي رياض الامـــن رائعة . فتوجّه امتثالا لأمـــره المطاع الواجب الاتباع نفذه اللـــه في سائر الاقطار والبقاع ليخرجه مـــن محروسة طرابلس وجمع العساكر وحـــثّ بالطلب ، هدى الى اجهاد النفس فـــي المسالك ووقفهـــا على سبيل المراشـــد والمناجح (٢٧) : بين ثغر يُسَدّ وعقد يُشَدّ وشتات يُجمَـــع وخَرْق يُرقَع وذمام يؤكّد وعهـــد يؤيّد . فلما بلرز في عاشر شهر ربيع خارج حمـــاة كاتب (ا) بن جان بـــولاد لبعض امراء العرب (على الهامش الاعراب) علـــى مبلغ فأركبه هواه ، هيهات مـــا اضلّ فعْلَ ذلـــك الشقيّ من راي واسواه ، تيمّن الامانـــي الكاذبة وظن الظنون الخائبة ؛ فلمـــا تلاقى العسكران وتصادم الجيشـــان واسلفّ الخيل والرجـــل وامتلأ الحَزَن (٢٨) والسهل وبرقت الابصـــار بشعاع السيوف وسفرت رســـل الحتوف بين الصفوف ودار كأس المنون دهاقا وعاد لقـــا الفريق بالفريق عناقا ، وصـــار الفارس اقرب من نبلـــه والسيـــف ادنى للوريد من حبلـــه ففي ذلك المحل غـــرّ الشقي الموعود بالاموال وزيّن لـــه الشيطان فعله وحثّه بالاستعجال وصوّر لـــه الاماني الفاسدة والآمال ، فلما شاهـــد فراره العساكر صار راي كـــل لصاحبه مغاير وعاد (ت) السواعد غـــير مساعد (ة) والاعضاء غير معانـــد (ة) . ولم يزل صاحب الدولـــة والسعادة ، يلّفه اللـــه الحسنى وزيادة ، ثابت الجنان لا تهولـــه (جاءت يهوله) صدمات الفرســـان ، وصار كلما حَرَّض من العسكر جحفلا ، يُظهِـــر ضعفا وتجلجلا ، فعنـــد ذلك تطايرت من حوله العساكر قاصدين حمـــاة ولم يمكث معه الا الذي ربـــاه في حماه ، فسار عند ذلك صاحب الدولة وقـــد ادخر سعيه ليوم لا ينفـــع الانسان قوّتـــه ولا حوله والسما تحسد الارض بوطيه لهـــا في سيره والنجوم تَوَدّ لاجل الثواب لـــو خرّت مع سنابك خيله ، ودخـــل محروسة طرابلس في

---

(٢٧) المناجح جاء في اللسان : « وانجح الرجل ، صار ذا نجح فهو منجح من قوم مناجح ومناجيح » ، لســـان العرب ، م ٢ ، ص ٦١١ .

(٢٨) الحَزَن : « مـــا غلظ من الارض في ارتفاع » ، لسان العرب ، م ١٣ ، ص ١١٤ .

خامس عشر شهر ربيع الاول، وانسرّ الناس بقدومه لأنّه عليه المعوّل .

ولما ابن جان بولاد طاوع شيطانه اذ اضلّه وزلّ معه حين استزلّه أبى الّا امتداد عنانه في الانقياد لشيطانه ، واستنفاذ قواه في الاستسلام لهواه ، فدعا ابن معن (٢٩) فاستجاب لدعائه واسرع لندائه، وسوّل لهم الشيطا (ن) تسويلا واستفواهم تَغَرُّرا وتضليلا وحَبّب اليهم العناد حتى شيط بلحمهم ودمهم وكره اليهم الرشاد حتى القوه وراء ظهورهم وصافح بينهم (ا ب) فغادرهم رهينا وقارنهم وسا (ء) قرينا، ولم يزل يلحم في اسفاح الشحنا (ء) وهم له يجيبون حتى وصلوا ظاهر طرابلس ونزلوا بأرض الجون (٣٠) ، جعلوا يغيرون وينشرون

---

(٢٩) فخر الدين المعني (ت ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٥ م) ، درزي المذهب ، كان زعيم الجناح القيسي في بلاد الشام ؛ بنى جيشا قويا من العناصر الهاربة من الخدمة التي كانت تعرف بالسكبانية ، استفاد من علاقاته باوروبا عن طريق الموارنة وشجع التجارة مع اوروبا فازدهرت موانىء لبنان، خاصة صيدا ، نشطت الزراعة في عهده، خاصة زراعة شجرة التوت لتربية دودة القز ، حارب بني سيفا ، وبنى القلاع وشحنها بالجنود ؛ تم القضاء عليه في عهد السلطان مراد الرابع ، من اجل المزيد عن حياته انظر احمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) ، تاريخ الامير فخر الدين المعني ، تحقيق اسد رستم وفؤاد البستاني ، بيروت ، ١٩٦٩ ؛ المحبي ، خلاصة ، م ٣ ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ ؛ عيسى اسكندر المعلوف ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٦ ؛ الاب بولس قرألي ، فخر الدين المعني الثاني امير لبنان : ادارته وسياسته ، ١٥٩٠ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٧ ؛ لنفس المؤلف ، لبنان والدولة العثمانية في عهد فخر الدين المعني الثاني ، مطبعة مصر الجديدة ، ١٩٥٢ ؛ انظر ايضا محاضرة كمال الصليبي : « فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية » ، ابعاد القومية اللبنانية ، ص ٨٥ — ١١١، ولنفس المؤلف .

"Fakhr al-Dīn" E. I. , vol. ii, PP. 749 - 51.

(٣٠) الجون : يفيد معنى الزاوية ويذكر عادة مضافا الى عكار ، جون عكار ، وفي سنة ١٥٨٤ م ، نُهبت الخزنة المصرية التي كانت في طريقها الى اسطنبول في ذلك الموقع ، مما دعا الدولة العثمانية الى تجريد حملة على تلك المنطقة كان من نتائجها ضرب الزعامات في جبل لبنان، خاصة الزعامة المعنية . حول هذه الحادثة انظر ، الدويهي ، اسطفان ، تاريخ الازمنة ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، الشدياق ، طانوس ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، م ١ ، ص ٦٧ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨ ؛ حول معنى كلمة جون ، انظر فريحة ، انيس ، اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ، جونية ، ١٩٥٦ م ، ص ٩٧ .

من الفتن مـــا ينشرون،لا عن الدما (ء) كفّوا ولا عـــن المظالم كفّوا ، يا الذئب بالقياس اليهـــم الا من الضالحين ولا المَجّـــاج في العراق منهم الا أول العادلين ولا فرعـــون في بني اسرائيل اذا قابلته بهـــم الا من المقربين ، مـــا تركوا للرعايا فضة الا فَضّوهـــا ولا ذهبا الا ذهبوا بـــه ولا ضيعة الا أضاعوها ولا فرســـا الا افترسوه ، توالت مظالمهـــم وظلامهم واتّصلت غائمهـــم وغُمّهم ؛ عَيَّنوا درويش بن جان بولاد (٣١) مع شرذمة هي فراش النار وأوباش الامصار فتتابعت اليـــه كلاب الغارة الشموا (ء) وتعاوت لديـــه ذئاب الفتنة الصمّا (ء) . دخل طرابلس في اواخـــر شهر ربيع ، فالاعيان من اهلهـــا دخلوا السفن والبعض آوى (جاعت آوا) الى حصن منيـــع دخلها بمن لفّ لفّيته وصافح علـــى النضال لكفته من أشياع الغواية واتبـــاع الغباوة أولئك الكلاب العاوية والعصبـــة الضالة الباغية،لا يقيمون لـــه وزنا ولا يمتثلون له اذنا وانمـــا سار لهم سُلّما الـــى الاموال المستهلكة والموارد المُرْدِيَـــة المهلكة . وفي صبيحة نهـــار السبت رابع عشرى ربيـــع سافر بعض المراكب فبكـــت لمصابهم الارض والكواكب قاصديـــن الجزيرة (٣٢) والناس تبكـــي بأدمع غزيرة،فلما اسفر نهار الاحد وكان يـــوم يشيب فيه لهوله الغـــراب والولد ، غلايين (٣٣) ،

---

(٣١) درويش بـــن جان بولاد : يُعَرِّفـــه البوريني بقوله،درويش بك ابن عم علي بك وانـــه اخذ مدينة طرابلس الشام لكنه لـــم يتمكن من احتلال القلعة التي تحصن فيها مملوك يوســـف باشا سيفا ، الذي كان يعرف أيضا باســـم يوسف ، أنظر النص المنشـــور ادنـــاه .

(٣٢) المقصود بالجزيرة هنـــا جزيرة قبرص ؛ أنظـــر نص البوريني المنشور ادنـــاه والملاحظات المدونـــة عنها في الهامش .

(٣٣) غلايين : جمع كلمـــة غليون التي هي تحريف لكلمة galleon, galion الانجليزية و galeone الايطالية ، وهي سفينة أكبر مـــن galley كان يستخدمها الاسبان في التجـــارة خاصة مع ممتلكاتهم في العالـــم الجديد . والجدير بالذكر ان الشيخ عبـــد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس يذكر مـــا يلي « وقد رأينا على حافة الميناـــ أنواع المراكب والسفن،وقـــد ذكر لنا اسماءهم سيدنا الحاج نصوح الديسن الطرابلسي المذكور ... فاعلم ان أنواع المراكـــب واسماءها كثيرة بلغت عشرين نوعا بعضهـــا يخالف بعضا في الصورة والهيئـــة وأسماؤها متعددة لكل اسم يطلق على مركـــب مخصوص لا يتناول المركب الاخر لكنه يطلق على الجميع المركبة

النصارى علينا اقبلت ، فالعقول طارت والدموع فارت والاصوات قد علت لهذه النازلة الهائلة والفظيعة والحادثة الكارثة ، يا لها من مصيبة لا يداوي كلمها آس ، ولا يسد ثلمها تناس ، ففي لمحة ادركونا ، وضربونا بالكاحل الطيّارة فاهالونا وبشرر نارهم الهبونا واحاطوا بنا فاخذونا . كان في السفينة من المسلمين مائتا (جاعت ماتا) نفر وسبعة انفار رجال ونساء واطفال ، عبيد واحرار صاروا بأجمعهم في قبضة الحربيين الكفّار الاشقياء الفُجّار بين مقتول،نقل الله روحه الى دار السلام،واسير موثق بين ايدي الكَفَرة اللئام وجريح تَمَثَّل له الاجل فقال لسان حاله هذا اقصى المرام ؛ ما الحيلة وقد حصل القضا (ء) ونزل البلا (ء) وكُتِب الرضى والتسليم ونحن به آمنون لا حول ولا قوّة الا بالله « انا لله وانا اليه راجعون » (٢٤) ، لا نسخط لقدر الله وهو عدل ولا ننكر (٢ ا) لقضاء الله وهو فضل ومن عنده الفضل ، يولي ويبلي ويسلب ويعطي له الخلق وفعله الحق ، امر الله سبحانه وتعالى لا يقابل الا بالرضى والصبر على ما قضى وامضى ، علما بأن مقاديره لا تجرى الا على موجبات الحكمة وتدبيره لا يخلو من باطن المصلحة وظاهر النعمة .

= والسفينة » . ويعدد عشرين نوعا : منها الغليون.انظر : التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية ، ص ٧٠ ــ ٧١ ، كذلك

Dozy, R., Supplement aux Dictionnaires Arabes, vol. II, P. 229.

انظر كذلك The Oxford English Dictionary, vol. iv, P. 21.

ونجد أن ابن اياس ، (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) يستخدم هذا المصطلح فيقول في اخبار سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ما يلي : « ثم احضر السلطان قايتباي بالقرب من(الجيزة) المركب الكبير الغليون الذي عمره واصرف عليه نحوا من عشرين الف دينار نأرسوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له ثمانية مراسي وعلقوا في صواريه القناديل في الامشاط .. » بدائع الزهور في وقائع الدهور ، م ٤ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٧٦ ؛ انظر ايضا حبيب الزيات ؛ « معجم المراكب والسفن في الاسلام » المشرق ، مجلد ٤٣ (١٩٤٩ م) ، ص ٣٥٥ ، والجدير بالذكر ان الاستاذ انيس فريحة لم يذكره في معجمه ، معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية ، بيروت ١٩٤٧ ، كما ان الدكتور البير مطلق لم يذكره في معجم الفاظ حرفة صيد السمك في الساحل اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٢٤) من سورة البقرة ، آية رقم ١٥٦ .

استمرّينا بذلك الأسر نكابد المشقات والقهر بقلب هلوع ، وروح مروع نبكي على ايامنا الماضيات ونحسد من تقدّمنا من الاموات . ثم لما تجلّت عنا غمة الخطوب ودارت لنا بشاير الرضا من المحبوب وانشقت سحابة محنته وتجلّت غمرة كربته وطلعت نجوم ارادته وسطعت سحابة سعادته واذن الله سبحانه وتعالى باخراجنا من الضيق الى السعة ومن الانزعاج الى الدعة ، القى (جاءت القا) الله سبحانه وتعالى الرأفة في قلب ذلك العلج النصراني فأمرني بالخروج الى محروسة صيدا في ثامن عشرى شهر ربيع الثاني وطلب فدوى (عني) وعن ثلاثة وعشرين نسمة ضممتهم الي من الاهالي : نساء واطفال اربعة آلاف وثمانمائة ذهبا عال ، فعاهدته على ذلك واسرعت بالذهاب من غير تكاسل ولا اهمال مستجيرا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه خير صحب وآل مستشفعا مستغيثا متوسلا به في البكور والآصال ، فاعطف الله الكبير المتعال على هذا الضعيف فاوجب مراة ذي اموال ، اعطونا تلك (جاءت ذلك) العشرة بخمسة عشر الى مضيّ شهرين،فقبلت منهم على ذا الحكم جميع ذلك الثمن ثم قالوا نحن سخينا بمالنا عليك فلا تدعنا نطالبك ، نحيل بكتابك على من بخانياك ؛ فشكرت فعلهم ومدحت فضلهم وقلت هذه المداينة لا اعدها الا باطلها عطية وهي عندي بمنزلة الهدية وانشا (ء) الله قبل تمام المدة نوصلكم جميع هذه العدة ، ثم اني قبضت تلك (جاءت ذلك) النقود بالتمام والكمال واقبضتها للحربيين فأخرجوا في الحين جميع العيال . فلما شاهدتُ الولد الأعزّ عمر لطف الله به وبفضله له غمر تهلل بهي وجوه الانس وكانت قبل عابسة واورقت (جاءت واورق) غصون من الفرج بعد أن كانت يابسة . ثم في اوائل شهر جمادي الاول دخلنا محروسة بيروت اقمنا برهة من الزمان . وفي عُشرة شهر شعبان من السنة المزبور (ة) جئنا (٢ ب) الى الاوطان فلاح لنا النجاح واشرق نوره واومض برق الفلاح ولمعت تباشيره فوجدنا صاحب الدولة والسعادة حضرة يوسف باشا بلغه الله من خيري الدنيا والاخرى ما يشا (ء) دخل الديار الطرابلسية وحكمها ، ومن ايدي الخوارج والبغاة

قد أنقذها ، وقطع عروق البغاة اهل العناد واطلع فيها كواكب السداد . فكانما بُدِّلت من الظلمة نورا ، واعقبت من موتها نشورا .

ونرجع الى ذكر الباحث عن مدينه المتعجل الى انقطاع مدته . بسط يده في المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها وضرب على اهالي حلب ضرايب ضربت الاموال بالتمحيق والبضائع بالتمزيق.تلك البلاد تلهبت بجمرات ظلمه ، وتنهّبت ببدرات (٢٥) غشمه فالمحارم مهتوكة والدما (ء) مسفوكة ولسان الحال يقول.قد يكون للباطل دولة وللفساد صولة ، ثم ياتي من الانتقام والاصطلام ، ما يسقط الهام على الاقدام ، اما علم ان العزيمة من امير المؤمنين تنزل امثاله مثلا وتجعله لاهل الشقاق والنفاق مثلا ! اما علم انه اذا رماه بشعبة من انكاره ومسّه بجذوة من ناره عاد حرصه ندما وصار وجوده عدما ! وغُودِرُ اشياعه بددا بل طرائق قددا ! نصب عليه سردارا الصدر الاعظم والدستور المعظم نظام العالم مدبر جمهور بني آدم مراد باشا (٢٦) ادام الله اجلاله وبلّغه من خيرَي الدنيا والاخرى آماله،فسار اليه باسعد الطوالع والفواتح وايمن المحامد والمناجح فخيلت لركوبه الارض مائجة والبحار هائجة والمناجح تطرق بين يديه والميامن تسير حواليه وآيات الظفر تقرا

---

(٢٥) البدرة : هي « جلد السخلة اذا فطم ويقال ثلاث بدرات » واستخدم بمعنى كيس فيه الف او عشرة آلاف ، لسان العرب ، م ٤ ، ص ٤٩ .

(٢٦) مراد باشا « صاحب الحروب مع المجر والعجم والجلالية » ، عُيّن حاكما لليمن سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، واعطي بعد ذلك حكومة قرمان ، شارك في الحرب ضد بلاد فارس،ولي دمشق حيث شيد فيها سنة ١٠٠٢ هـ / ١٩٥٣ م سوقا عرف باسمه ، عقد صلح سنقا ثروك سنة ١٦٠٦ م ، مع النمسا ، عُيّن بعد ذلك سردارا على الشرق لاخضاع الحركة الجلالية وحركة علي بيك ابن جانبلاط ، كانت وفاته سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م انظر الغزي ، لطف السمر وقطف الثمر ، ورقة ٤٤ ب ــ ٤٥ أ . المحبي ، خلاصة الاثر ، م ٤ ، ص ٣٥٥ ــ ٣٥٨ ، ابن جمعة المقسار ، ولاة دمشق ، ص ٢٣ ، عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م)، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٣٧٩ ــ ٣٨١ . صلاح الدين المنجد « خطط دمشق » مجلة الشرق ، م ٤٢ ، (١٩٤٨) ، ص ٦٢ ــ ٦٤ .

عليه والنصر يتراءى من ذائب أعلامه وبنوده وعناية الله ممدة على مواكبه وجنوده.ولم يزل سائرا والسعود تواكبه ولطائف (جامع الطايف) الله تصاحبه حتى قرب من مدينة حلب،فخرج علي بن دبان بولاد قاصدا له بالطلب يحضره الى مصرعه الاغاليل ويعجله الى مهلكه الاباطيل ، حدتهم (أ) لاستعجال (جاءت الاستعجال) الآجال ، وتصورت لهم المنايا في سور الاماني والآمال،ساروا وآجالهم تقصع في مطامعهم ومناياهم تحثّ خطاهم الى مصارعهم . نقلهم الله بأقدارهم الى مصارع حمامهم (٣ أ) فلما التقوا وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة دارت على أعدا (ء) الله به الدائرة من شهور سنة ست عشرة بعد الالف . وما أحلّ الله بهم من الانتقام ما شبّ عن طوق اليراع وعلت ريح الاقبال « لحزب الله » (٣٧) ، وذرت ريح الادبار على أعدا « حزب الله » متعهدون بالمنايح الزهر وأعدا (ء) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقوة باس مترصدون بالمنايا الحمر ، فاز « حزب الله » بأجر المجاهدين وأعدا (ء) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقوة باس وثبات مقام ، وصدق انتقام ، وأعدا (ء) الله انقلبت مواكبها وتضعضعت مراكبها وانخفض بيارقها لما شاهدوا الرايات المنصورة تزحف اليهم زحفا ، ملأت قلوبهم رجفا وهي تخفق بالنجح ، والطبول تنطق بالفتح ، أمر بتسوية الصفوف التي لا فلول يعتريها ولا رجوف ، وجعل الجيوش ميامن يقاربها اليمن والنجاح ، ومياسر اقتضت اليسر والفلاح ، وصار هو وقواده قلبا قالبا لمن قابله وناكسا لمن واجهه.فحين ترآى الجمعان وأفضى الامر الى قرب العيان والتهبت جمرة الضراب والطعان التقى الجمع بالجمع وقرع النبع بالنبع (٣٨) وبلغت القلوب الحناجر وشافهت المناحر المناخر فعند ذلك صمتت الالسنة وخَلَبت السيوف

---

(٣٧) « حزب الله » من سورة المائدة آية رقم (٥٦) ، وكذلك ذكرت في سورة المجادلة آية رقم (٥٨) .

(٣٨) النبع : من أشجار الجبال تصنع منها القسيّ ، لسان العرب ، م ٨ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

على المنابر واستمخرت (٣٩) سمر الرماح وتصافحت بيض الصفاح بلغ « حزب الله » من اقتناص الاعدا (ء) اقصى المبالغ ووطئوهم وطء القانع الدافع زحموا الاعدا (ء) من جوانبهم وتمكنوا من نقض مواثيقهم فضاق بهم المجال وتحكّمت بهم الآجال فلم تَرَ (جاءت ترا) الا رؤوسا تندر ودما تهدر واعضا (ء) تتطاير واجساما تتزايل، اوسعهم ضربا وشقّا وطعنا ورشقا وجرحا وزرقا؛ وطئوهم بسنابك الخيل وتركوهم كجفا (ء) السيل صبوا عليهم سوط (جاءت صوط) (عذاب) فاسلموهم لعوادي بتار وتباب بين قتيل عجل الله بروحه الى دار جزائه واسير قد اوثقه ما ارتكب من سوء رايه ، وابن جان بولاد نكص على عقبه وقد كادت صروف الايام تفترسه وبانيابها تنتهشه،لم ينج الا بشرذمة لاذت بذمّة الهرب ولن يفوتوا يد الطلب،اطار الرعب قلوبهم وسكن الخوف لبهم ، خرجوا من تحت طي السيوف وقد شارفتهم ، وشبا (٤٠) الحتوف وقد شافهتهم ، ولم يزل دائرا في البلاد ايجد من يعينه على البغي والعناد فلم يجد (٣ ب) له مساعد ولا خل معاضد،فانسحب عند ذلك قرب الموت لما راى من ضيق العيش وبعد الاوطان وقهر الجيش،ودخل على بعض البغاة فاراد (جاءت فارد) بعضهم ان يوثقه ويجعله اسيرا وبعضهم ظاهره وكان في خلاصه نصيرا.فالتزم وقصد الاعتاب العليّة والسدّة العالية السنيّة في سابع عشرى شهر رمضان سنة ست عشرة بعد الالف من هجرة سيد ولد عدنان يلتمس العفو ، وَرَمْقُه على تَلَف وشفاهته على شرف، فاُخِّر لأجَل مضروب وانسيء لأمل مكتوب .

واما « حزب الله » عادوا منصورين مؤيدين موفورين لم يَمَسَّهم جراح ولا عضّهم سلاح،غنموا اموالهم التي لم يؤدوا منها حقا معاوما ولم يغنوا منها سائلا ولا محروما ، ودخل الصدر الاعظم مدينة حلب والزمان ضاحك متظاهر البشر من الفتح الذي نطقت به

---

(٣٩) من مخر : استمخر قابل ، لسان العرب ، م ٥ ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٤٠) شبا : الشباة طرف السيف وحَدُّه،وجمعها شبا ، لسان العرب ، م ١٤ ، ص ٤٢٠ .

السنةُ الشكر وفتحت لـه ابواب البشر ، والممالك ملأى (جاءت ملىء) تهاني وبشارات والأوليا شورى بين افراح ومسرات ، وسلمت قلعة حلب الشهبا بعد دخوله بثلاثة ايام من غير حصار ولا اهتمام لعظيم سطوته (جاءت حطوته) ، منحة من الكبير المتعال ، عَرّفهم عزّة وتحكّمت بهم الأوجال ، طلبوا الذين (جاءت الذي) كانوا في الظلمة الامان فاعطاهم ، فنزلوا على اسوا الاحوال ، هناه الله بالطوالع السعيدة عند نهضته ودلت عليه البشائر الحميدة في سفرته وقد دانت له الطوائف وآمن به الخائف . كان حلوله بمركز غرة الديمة الوافا عن السنة الشهبا والنور المنتشر بعد الظلام المعتكر ، انعسرت الغمّة بتلألؤ جبينه ودرت النعمة بأخلاق يمينه فاصبح العدل ممدود الرواق والسلطان نصره الله ساطع الاشراق ، محروسا بعين عناية الملك الخلاق الواضع قدمه على ناصية الشمس ، الساحق بنسيائه انوار البدر ، الضارب برواقه من فوق النجم المبسوط بين المغربين شعاعه المعقود على الخافقين شراعه ؛ فالله يديم له الفتح يمينا ويسارا ويزيد اعداه ذلاً وخسارا ويجعل اعداه حصائد سيوفه ورهائن خطوب الدهر وصروفه .

ترجمة يوسف باشا سيفا للشيخ حسن بن محمد البوريني [٤١]

« الامير يوسف بن سيفا واخوه الامير علي ، قد انتقل (١٤٦ ظ) مسيرنا الى طرابلس الشام فنهضت اليها من دمشق في شوال سنة ثمان والف من الهجرة النبوية على مهاجرها الف الف تحية ومررنا

---

(٤١) الشيخ حسن بن محمد البوريني (٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م ـ ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، مؤرخ من اصل نابلسي عاصر احداث سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م ، حول حياته وثقافته ومنزلته العلمية ومؤلفاته ، انظر الترجمة الوافية ومصادرها التي اوردها لبيب صلاح الدين المنجّد في تقديمه للمجلد الاول من تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، دمشق ١٩٥٩ م ، ص ٥ ـ ٢٦ . النص الذي ننشره مأخوذ من مخطوط تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، نسخة ثمينة ، رقم

Ost. Arab, 1190, Mixt. 346

وهذا النص يقع في خمس صفحات ونصف في كل صفحة تسعة وثلاثون سطرا .

على مدينة عكـــار (٤٢) فاجتمعنا بالاميرين المذكورين وكان الامير علـــي لـــه تعلق باهداب الآداب ، وتوثق من معرفته باوثق الاسبـــاب ؛ ولعمري لقد شاهدت دولـــة سيفية وشهدت بسعادة يوسفيـــة وعاينت مجدا عاليا وجـــودا وافيا يشمل البعيـــد والقريب . وكانت بهما عكـــار صافية ، ووعود الزمان بالمراد لمـــن قصدها وافية ، فاشتهرت بعـــد الخمول وقُصِدَت حتى صارت محـــطّ الحمول ؛ ولعمري ان الدولـــة السيفية كانت وريفة الظلال باسمـــة الثغور عن عقـــود الاقبال . وقد مدحتُ صاحبي انشاء الدولـــة المذكورة ، الامير يوســـف ذو السيرة المشكورة بقصيدة ميميـــة ومدحت اخاه عليًّـا باخرى رائية ، وانصرفتُ من عكار الى طرابلس الشـــام وطرفي لبرق اقبـــال هاتيك الديار قد شـــام ، ورأيت في الطريق بقايـــا حصن يقال له عِرْقا (٤٣) وقـــد عرقه الدهر الجابر بمديـــة جوره عُرْقا ، وشاهدتُ تحامل الزمـــان على نواحيه وتشتيته لجموع ساكنيـــه واهليه مع انـــه من الحصون القديمة التي

---

(٤٢) النصوص المتوافرة بين أيدينا لا تشير الى مدينة تعرف بعكار بل تشير الى حصن عكـار . فيقول عماد الدين اسماعيل ابـو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، : « وعكـار حصن في الجبل المذكور (جبل عكـار) » . أمـا القلقشندي فيذكر ما يلي : « وهي قلعـة على مرحلة من طرابلس في جهـة الشرق بوسط جبل لبنـان في واد ، والجبل محيط بهـا وشرب اهلها من عين تجري اليهـا من ذيل لبنان المذكور ولها ريض ليس بالكبـير » . وكانت تشكل نيابات مملكة طرابلس الشـام في العهد المملوكي ونيابتها امرة عشرة ونائبهـا يخاطب « النائب بحصن عكار » انظـر ، تقويم البلدان ، حققه م . رينود والبارون ماك كوكين دي سلان ، المطبعـة الملكية ، باريس ، ١٨٤٠ م ، ص ٦٨ ؛ صبح الاعشى في صناعة الانشـا ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ص ١٤٤ ، ص ٢٣٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ ، م ٩ ، ص ٢٥٣ ، م ١٢ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥ ، يورد المؤلـف هنا نص كتاب تقليد لاحـد النواب .

(٤٣) يعرف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، عِرْقَة ، بقولـه : « عرقة بكسر اولـه وسكون ثانيه ... بلدة في شرقي طرابلس بينهمـا اربعة فراسخ وهي اخـر عمل دمشق وهي في سفـح جبل بينهما وبين البحر نحو ميـل وعلى جبلها قلعة لها » ويذكرها ابـو الفداء بقوله : « هي بلدة صغيرة ذات قلعـة صغيرة ولها بساتين ونهـر صغير ... » ، انظر معجـم البلدان ، م ٦ ، تحقيق فردناند وستنفلد ليبزج ، ١٨٦٨ ، م ٣ ، ص ٦٥٣ — ٦٥٤ ، تقويـم البلدان ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

محت رسومه كل ديمة مستديمة . فلما دخلتُ طرابلس عجبتُ من محاسنها ورأيتُ عجايب البحر بالقرب من مساكنها ودخلتُ اليها مسا ليلة الاحد من اواسط ذي القعدة المنتظم في سلك شهور سنة ثمان بعد الالف من هجرة خير الانام عليه من الله الصلاة والسلام . ونزلتُ في منزل وكيل الامير علي اليوسفي السيفي وهو المسمى بطي ابن المقدم،وكان بين جماعته هو المشكور المقدم وكان النزول عنده باشارة استاذه المذكور بل بامره الذي يطيعه كل مأمور ، فاكرمنا اكراما وواصل الينا انعاما وحبانا الطافا ومَنَّ علينا إسعادا وإسعافا ، وحضر الينا علماء طرابلس مسلّمين ولدعوى العلم من جانبنا مسلمين . وقد صدر ان الامير يوسف بن سيفا حاكم مدينة طرابلس ساعب هذه الترجمة ارسل في اواسط سنة خمسة عشر بعد الالف الى باب السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية يتطلب حكما سلطانيا منشورا خاقانيا ، بأن يكون راس العساكر الشاميّة وامير الامرا في هاتيك الولاية السنية لينتقم من علي بيك ابن الامير احمد بن جان بلاد الخارج بحلب الشهبا الذي تباعد عن الطاعة وابى ؛ فاجيب الى ذلك ، وتلقّن السلطان ايده الله تعالى انه قادر على ما هنالك وارسل اليه الحكم المطاع الواجب الاتباع بأن يكون راسا على جميع العساكر ورئيسا لجميع الجماهر من حدود غزة والقدس ونابلس واللّجّون وعجلون والكرك الى حدود طرابلس وجبلة واللاذقية وحمص وحماة وما هنالك من الاكراد والترك والعرب،وان يسعى على ازالة حكمه من هاتيك ونواحيها وان يعيد الحكم السلطاني في البلاد المذكورة من قوافيها الى خوافيها . فلما جاء الامر المذكور وتَقَدَّر عنده الحكم المشكور ارسل الى حكام العباد وراسل الامرا في سايير البلاد فاجتمعوا في حماة وجعلها موطنه وَحِماه،وذهب هو ايضا اليها ونصب سرادقه عليها . ونهض علي بيك من حلب الى هناك وتقابلا وتقاتلا وتجاولا ، ذلك مع السكبانية الباغين وابنُ سيفا مع عساكر حضرة سلطان المسلمين ، فقدّر الله تعالى ان الكسيرة الكبيرة وقعت على جانب عسكر السلطان، وخرج سيف ابن سيفا من الاجفان ولكنه ما عاد اليها بعد الخروج،

وقد قبل قسم الخروج قبل الولوج ، ففر الى الشـــام وما عرجوا على الخيام ، فيالهـــا (١٥٠ ا) من كسرة ما وجدوا بعدهـــا نصره ؛ فلما دخل علـــي بيك الى مخيم الشاميين وابن سيفـــا وراى هناك سعادة وسلاحا ورمحا وسيفا قوي مزاجه وعـــزّ مع الغير امتزاجه فارسل الـــى ابن معن فخـــر الدين يطلبه للاقبال اليه بعـــد انكسار الشاميين. فاقبل اليه وورد عليه وكـــان اجتماعهما عند منبع العاصي وكـــان ذلك رسما لاجتماع العساة من الدانـــي والقاصي ، فاتفق رايهما ان يرســـلا الى طرابلس عسكر (ا) يأخذها من يـــد ابن سيفا واتباعه ؛ فعيّنا لذلك درويش بيك ابن عم علـــي بيك مع جماعة لتفريق جيش ابـــن سيفا بعد اجتماعه ، فبادر ابن سيفا الى الهرب من شـــدة الخوف والرهب الى ركـــوب السفينة بنفس لفراق وطنـــه حزينة وابقى قلعـــة طرابلس حصينة بجيوش في ضمنها كمينة وجعل راسهـــم مملوكه يوسف ، ودعا لـــه بالحماية من موجبات التلهّف والتأسّف واتخـــذ سبيله في البحر سربـــا وقضى الناس من فراقه لاوطانه عجبـــا ، واخذ معه امواله الكثيرة وصحب محاسن امتعته العزيزة وســـار معه غالب اهـــل طرابلس من الرجال والنساء في مراكب متعددة وسفـــن في البحر متبددة فأ (ما) سفينتـــه التي سار فيها فقد جرّتها الريح الـــى قبرص (٤٤) ونواحيها، ودخل الـــى بعض مداين الجزيرة المذكورة ولم يجد ما رامـــه عندما قدم عبوره فطـــار في السفينة باجنحة الشراع واقلع عـــن ذلك الساحل بقوادم القلاع وســـار الى الجانـــب القبلي ملجا ولم يلـــو على طرابلس معرجا حتى خـــرج من ساحل حيفـــا (٤٥) من توابع اللجون (جاءت الجون) ولـــم يسمع نصيحة

---

(٤٤) حول تاريخ جزيرة قبرص في العهـــد العثماني انظـــر :

Hill, Sir George, A History of Cyprus, vol. iv, Cambridge University Press, 1952, PP. 1 - 99.

وبالاضافـــة : Dakkot, Besim, "Kibris" I. A., vol. vi, PP. 672 - 76.

(٤٥) حول النصـــوص الجغرافية التي تذكر حيفـــا انظر ما جمعه الاب مرمرجي الدومنيكي في بدارة فلسطـــين ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . في سنـــة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م كان عدد سكان حيفـــا عشرين خانة جميعهم من المسلمـــين وربع حاصلاتها المذكـــوع

اخوانه الذين في نصحه يُلجّون. واما السفينة التي حملت الغنيمة المصونة واحتملت درره المكنونة فانها صارت للنصارى غُنْمها ولهم بذهابها خسرانا وغرما، وكاد (جاعت وكان) يقتل وكيلها الذي اقامه عليها وجعله ناظرا وحافظا لديها ؛ والذاهب لا يعود والطوالع لا متمخّضة للسعود. واما مَن سار من رجال طرابلس ونسائها في صحبة الامير ابن سيفا فانهم وَجَدوا بالأَسر حَيْفًا وليتهم لو تبعوه حتى يقاتلوا معه ، فاخذتهم النصارى وصاروا في قبضتهم اسارى، فكم عزيزة صارت في ايديهم ذليلة ومن مصونة اصبحت في قبضتهم بعد الصحة عليلة، وكم من عزيز في ايديهم قد ذَلّ ومن عظيم قد احتُقِر بعد ما جَلّ ؛ ولعمري انها كانت لفضيحة قبيحة ومصيبة اصابت لعدم قبول النصيحة . ثم ان الطاغية الذي أسر نساء اهل طرابلس الشام مكث في نواحي قبرس

- للدولة كان يساوي ٤٧٨١ اقجة . كما يشار الى وجود اسكلة (ميناء) فيها تتقاضى الدولة رسوما عن السفن التي ترده ، مقدارها الف اقجة سنويا ؛ والجدير بالذكر ان البحار العثماني بيري محي الدين ريس (ت ح ١٥٥٥ م) يشير في وصفه لساحل فلسطين الى وجود قلعة مدمرة في حيفا الا ان ميناءها كان يصلح للرسو ، وبموجب احصاءات سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م ، كان عدد سكان حيفا ٣٢ خانة جميعهم من المسلمين ومجموع ما يتحصل منها عشرة الاف اقجة . الا ان هذا الاحصاء لا يشير الى رسوم الاسكلة مما قد يوحي بانها كانت مستقلة كميناء . انظر طابو دفتري رقم ١٩٢ (اسطنبول) ، ص ٣ ، طابو دفتري رقم ١٨١ (انقسرة) ، ص ١٩ — ٢٠ .

Heyd, U. "A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixtem Century", Israel Exploration Journal, vol. vi, (1956), pp.210-211.

انظر ايضا : "Hayfa", E. I². vol. iii, PP. 324 - 26.

راجع بالاضافة الى ما ذكر اعلاه جميل البحري ، تاريخ حيفا ، المكتبة الوطنية ، حيفا ١٩٢٢ م .

من أجل مقارنة حيفا مع كل من يافا والناصرة في القرن السادس عشر انظر بحث :

Bernard Lewis : "Nazareth in the Sixteenth Century, According to the Ottoman Tapu Registers".

"Jaffa in the 16th Century, According to the Ottoman Tahrir Registers", In Studies in Classical and ottoman Islam Variorum Reprint, London, 1976, PP. 416 - 446.

كاسبا للآثام ، وشرع يبيع النســـا لرجالها ، وينادي لكـــل فرقة وعيالها ، فبلـــغ الناس في النســـا مبلغا عظيما وثمنـــا جسيما لكنّ مع الفضيحة الكاملة والحسرة الشاملـــة التي احرقت القلوب وعظّمت الكروب ، وكـــان الرجل ينظر زوجتـــه مأسورة ، ويرى جاريته منظورة والمنـــادي ينادي في كل نادي ، فمنهم مـــن يقدر على الفكاك ومنهم من يسقـــى من الإشراك في الأشراك ، ومنهم مـــن يُفكّ نفسه دون اهلـــه فيذهب عنها وقد فقد نور عقله ، فكم من بِكْـــرٍ جميلة الصورة أصبحت في يـــد المشركين وهي مأسورة ، وكـــم من غلام يفوق البدر عند التمام ، وقـــد ناح عليه ابواه عند الفراق وذاب منهما الجســـم بشديد الاحتراق ، وذلك من اعظـــم المصايب واشدّ النوايب . وامـــــا ابن سيفا فانه خرج من البحـــر ضيفا عند الامـــير احمـــد (٤٦) ابن المرحوم الامير طرباي ابن الامير علـــي الحارثي ، وهو الآن أمير لـــواء اللجون (٤٧) فقام اليـــه مكرّما ولنزوله معظّما واظهر لـــه ما يليق بأمثاله من اكارم الأُمرا وأُمرا الاكارم ، وابرز لـــه ما يساوي

---

(٤٦) حول حياة الشيخ احمـــد بن طرباي الحارثي ، (ت ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م) ، امـــير لـــواء اللجون ودور اسرته في تاريـــخ سنجق اللجون بشمالي فلسطين منذ اواخر العهد المملوكي ، انظر المحبي ، خلاصة الاثـــر ، م ١ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ . كذلك مقالـــة موشي شارون :

"The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", in Studies on Palestine during the Ottoman Period, edited by Moshe Maoz, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

كذلك دراستي : الأسرة الحارثية في مرج بنـــي عامر ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م — ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م . المقدمـــة لندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عـــين شمس ، القاهرة ، ٧ — ١٢ أيـــار ١٩٧٧ ، (تحـــت الطبـــع) .

(٤٧) حول لـــواء اللجون انظر دراستي المشار اليهـــا سابقا خاصة هامش رقـــم ٢ ، ص ٢٥ . ولقد كـــان هذا اللواء يشمل النواحي التالية : شفا ، ساحل عتليت ، ناحية شعرا وناحية جنـــين ، لمزيـــد من التفاصيل انظر :

Wolf Dieter Hutteroth and Kamal Abdulfattah, Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century, Erlangen, 1977, PP. 157 - 161.

البحار الزاخرة من المكارم ؛ والحال ان ابن سيفا طلّع الى الامير المذكور وليس معه من جماعته سوى سبعة رجال على ما هو مشهور (١٥٠ ب) غير ان معه من الاموال مالا يدخل تحت الاحصا ولا يشمله الاستقصا ، وارسل علي بيك ابن جان بُلاد الى الأمير احمد طرباي رسالة تشتمل على ما معناه،انك يا امير احمد اُجتهد في قتل ابن سيفا وجَرِّد في قتله وقتاله رمحا وسيفا ولك المال بأسره وتحزُّ لنا الراس فبادر بذلك فلا حرج عليك ولا بأس ، وان لم تفعل جوزيت منا بالعقاب او بغاية التعزير والعقاب . فاجاب بأن هذه كلمة لا تقال،ومَن وقع في مثل هذا فعثرته لا تُقال ، ليس ذلك من فعل الامرا ولا من شان الاعيان والكبرا ؛ كيف يكون ضيفي ويناله رمحي وسيفي ؟ ثم انه بادر الى اهداء الخيول المسوّمة (٤٨) وتقديم الضيافات المطلوبة وقال له مرحبا بك يا امير واهلا بجودك الخطير ، لو كان لي مال لقدّمته اليك ووضعته بين يديك ، ولكن عندي خيول ليس لها مثيل ولا يشابهها جواد ولا في التمثيل،وفيها جواد جيد قوي ايد جموح ابيّ ما علا ظهره احد بعد ابي ، وهو لك مني عطية راضية مَرْضيّة ليس فيها منّة عليك بل هي نعمة منك اليك ؛ ثم انه اضافه اياما عديدة وقدّمه منزلة سديدة واكرم مثواه واجلّ مثواه ؛ ثم انه ارسل الى عسكر التسلم يطلبهم الى بلاد اللجون فساروا اليه ووردوا عليه ، فسار معهم على

---

(٤٨) يلاحظ انه عند عودة الامير فخر الدين المعني من ايطاليا،بنى على مراقبة السلطات العثمانية سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م ، الى صيدا عبر عكا ، ان الامير احمد الحارثي « ارسل كخداة بتقدمة الخيل ايضا التي ترتضيها الغبراء » راجع الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي ، تاريخ الامير فخر الدين المعني ، ص ٦٩ .

طريق حوران (٤٩) ولم يسر على جُبّ يوسف (٥٠) وأرض كنعان (٥١) خوفا من الامير فخر الدين ابن معن فانه عدوّه وعند (٥) اصحاب الضرب والطعن ، فلما دخل الى ارض الشام وجد اهلها في

---

(٤٩) في اواخر القرن السادس عشر الميلادي كانت حوران تشكل قضاء من ضمن سنجق دمشق الشام ، وشمل هذا القضاء النواحي التالية : ناحية البطيحة ، ناحية الجولان الغربي ، ناحية الجولان الشرقي ، ناحية الكفارات ، ناحية بني كانة ، ناحية بني جهمة ، ناحية بني ماتكة ، ناحية بني الاعسر ، ناحية جيدور ، ناحية بني كلاب ، ناحية بني مالك الصدير ، ناحية بني مالك الاشراف ، ناحية البثنية ، ناحية بني عبد الله ، ناحية بني صرما ، ناحية بني مقلد وناحية بني نشبة،وليست نشبة كما جاءت عند Hutteroth انظر :

Bakhit, M. A. The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Ph. D. Thesis, London, 1972, PP. 85 - 93, (in the press),

والملاحظ ان الاستاذ هوتروث يضيف ناحية اخرى هي ناحية بني عطية ، انظر هوتروث ، المرجع ذاته ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٥٠) جب يوسف بالقرب من نابلس ؛ فيما يتعلق بهذا المكان انظر ما جمعه عنه الاب مرمرجي الدومنيكي ، بلدانية فلسطين ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٥١) أرض كنعان (الارض المنخفضة او الغور) ، كانت في البداية تُطْلَق على بلاد الساحل ثم اتّسع مدلولها ليشمل بلاد سورية الجنوبية الغربية باكملها . الا ان مفهوم الجغرافيين المسلمين لهذه البلاد كان على الارجح يقتصر على الشمال الشرقي لبلاد فلسطين . يذكر ابو الفداء واديًا يُعْرَف بوادي كنعان فيه ضيعة تعرف بالسم كفرلا تبعد عن جب يوسف اثني عشر ميلا وانها بالقرب من بانياس . كما ان الشيخ صدر الدين ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي العثماني (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٦ م) يذكر صفد بقوله « اما صفد نفسها فحصن بنوع بقلة جبل كنعان » راجع باقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣١١ — ٣١٢ ، ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ، ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS, vol. xv, (1953), P. 479.

فيما يتعلق بالمفهوم التوراتي لهذه البلاد ، انظر :

Smith George Adam, The Historical Geography of the Holy Land, New York 1907, PP. 4 - 5.

كذلك الخارطة رقم (٣) المرفقة بكتاب :

Yeivin, Sh.,The Israelite Conquest of Canaan, Nederlands Historishch — Archaelogisch Institute, Istanbul, 1971.

الخيام وهم في انتظار العساكر القادمة من الأطراف لحصول الإسعاف منهم والاسعاف على ابن جان بلاط ومن معه من الاخلاط كابن محسن ويونس (٥٢) ابن الحرفوش،وكلّ من باطنه خاين مغشوش ؛ فانهم لما كسروا جيوش ابن سيفا على حماه حرس كلّ منهم بيت المشرور وحماه،وقصدوا طرابلس الشام فهتكوا حريمها ولم يبق لها احترام، واقام بها درويش ابن حبيب ابن جان بلاط مدة يفسد فيها ومن معه من الاخلاط الى ان اصبحت قاعا صفصفا وما عفا عن اهلها ، فيا ويح من ظلمه عفا ، لا سيّما بيوت توابع ابن سيفا فانه قد اورثهم خوفا،اللهم الا قلعة طرابلس المحمية فانها نجت من حوادث البليّة،وما ذاك الا ان يوسف مملوك ابن سيفا حماها وحصّن ربعها وموطنها وحماها ، وكان يلقي من باطن القلعة المذكورة نيرانا محرقة يخرب بها بيوت اكابر طرابلس،لا سيما بيوت التابعين لابن سيفا . ولما وصل درويش ابن حبيب الى طرابلس الشام واوصل الى اهلها ما قدر عليه من التعدي والآلام ذهب علي بيك ابن عمه وابن معن الى نواحي بعلبك فاحرقوا ربضها ونهبوا المدينة وما قدروا عليه من قراها،وانصرفوا راحلين الى ان استقرّوا في البقاع وانزلوها في الحصيص بعد البقاع. ولنذكر في اثناء هذه الحكاية (التي) توجب غاية الكاية،وهي أن الامير موسى ابن الحرفوش امير الامراء ودار الامارة الكبرا لم يكن بني حرفوش بالاتفاق؛ بل هو فخر امراء الشام على الاطلاق،كريم لا يبارى الغمام وعهد صادق العقدة في غاية الابرام وشجاعة فاقت على الاسود واصالت على كل ذي اصل يسود ، نهض من بعلبك وهو حاكمها الى نواحي حمص مستقبلا لابن جان بلاط وجيوشه ، مداراة

---

(٥٢) جاءت في النص يوسف بن الحرفوش،والأصحّ كان اسمه يونس بن حسين بن موسى الحرفوش الذي اصبح « امين بلاد بعلبك » بدل عمه الامير موسى بن علي الحرفوش الذي كان ذا ميول سنّية،وتدخّل للصلح ما بين علي بن جانبلاط من جهة وما بين يوسف باشا سيفا من جهة اخرى،الا انه فشل في مهمته وهرب مع يوسف باشا سيفا ؛ انظر البوريني ، تراجم الاعيان ، م ٢ ، ص ١٧٥ ، ايضا ورقة ١٤٨ ب ، ١٤٩ ا ، المحبي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

عن عرضه ومحامـــاةً عن أرضه،فتحادثا وتقـــاولا وتشاورا فيما صدر وتجاولا،فقال الامـــير موسى هلّا تعطيني عهدا على الصلح بـــه جرح الخراب يوسى ، وانـــا اذهب الى الشام وآخـــذ لك العهد الوثيق من الانام،فقال اذهب سليمـــا وكن يا موسى كليما ؛ فحضر الى الشـــام ورمى من عسكرها بغايـــة الكِلام لشدّة مـــا اوجعوه بغيظ الكَلام ظنًّا من جهلائهم انـــه عليهم،وما كان الاّ ناويا ســـوق الخير اليهم ، (١٥١ أ) فلما حضر الى امـــير الامرا قال له بما قد جيئت على قدر يـــا موسى فجرِّدْ سيف عزمـــك لعلّه يُذهِب البوسى،فقال يـــا امير الامرا : ابن جان بـــلاط يطلب منك ان تعطـــوا حوران لعمرو (٥٢) البدوي مـــن العرب المفارجة،والبقاع العزيـــزي لابن الفريخ (٥٤) منصور بـــن بكري،وأدخِلوا

---

(٥٢) عمـــرو البدوي هو عمرو بن جبر شيخ عشيرة المفارجة ، حليف فخـــر الدين المعني ؛ كان رشيد بـــن سلامة بن نعيم شيخ السرديين مـــن المفارجة ينافسه على المشيخة في حوران،وكان رشيـــد موضع عطف الدولة العثمانية ، حيث أعطي سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، المشيخـــة بحوران ، حول دورهما في معركة الصراع القيسي ــ اليمني ، انظر البوريني ، المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ، انظر كذلك نص البوريني الموجود في مكتبة جامعة ليـــدن باسم : كراستان نُقِلتـــا من خـــط الشيخ حسن البوريني Cod. or. 1515 ورقة ٤ ا ، حيث ان هـــذا النص يتفق مع النص الـــذي نشره صلاح الدين المنجّـــد في هامش ص ٢٢٥ من المجلـــد الثاني ، راجع ايضا الشيخ احمـــد الخالدي الصفدي ، المصدر ذاتـــه ، ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ص ١١ ، ص ١٣ .

(٥٤) الامير منصور بـــن الفريخ (ت ١٣ ربيع الثاني ١٠٠٢ هـ / ٦ كانون الثاني ١٥٩٤ م) قُتِـــل في دمشق بأمر من السلطان بنـــاء على رغبة والي دمشق آنذاك مراد باشا ، ولقد كـــان أمير البقاع العزيزي بعد القضاء علـــى اسرة آل الحنش البدوية السنية أعطي حكومة نابلس وامارة الحـــاج والتزم اموالا للدولة على صفـــد ، كان يقف ضد الدروز والمعنيين خاصة : ترك عشرة أولاد اكبرهـــم قرقماس الذي قُتِل على يـــد الامير موسى بن الحرفوش في ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤ م ، بايعاز من فخـــر الدين المعني بعد أن رفض الامـــير يوسف باشا سيفا ايواءه . مـــن هنا نرى ان منصور بـــن الفريخ قد قُتِل قبل هذه الحوادث . ولربما اختلـــط الامر على الناسخ فخلط ما بين اسم ابـــن الفريخ واسم الامير فروخ بن عبد اللـــه الجركسي امير الحاج الذي تولّى حكومـــة نابلس وعجلون والكرك سنـــة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، وامارة الحاج ، ولـــم يزل في هذا المنصب الى أن مـــات بمكة المشرفة في سنة ثلاثين وألف

كيوان (٥٥) الى الشـــام كما كان ، واكتبوا عرضا بـــان ابن جان بلاط لم يدخل الى ارض الشـــام ، وان ابن معن فخر الديـــن يؤدي ما عليه من مـــال السلطان،وبلاده موصوفة بالامان ؛ فعقد امير الامرا ديوانا لهذه المطالب ، التي جـــاء الامير موسى وهو لها طالب ، فاتفقوا على ان حوران تعطى لعمـــرو ولكنْ في السنة القابلة،واما البقاع فان اعطاه لمنصور المذكور غـــير معقول ، لكونه عند الرعايا غـــير مقبول ، واما كيوان فانه يرجع الـــى الاوطان وعليه ما علـــى الناس من الامان ، واليمين من جانبنا لازمـــة لجميع الاخوان وقد كنت حاضر (ا) فـــي الديوان بدعوة من وكيـــل السلطان،فقال امير الامرا وهـــو الوكيل للفقير العليل : اكتب لنـــا صورة مكتوب الى ابن جـــان بلاط واخبره بما جرى عليه الاتفاق مـــن قبول دخول كيوان والعفو عنـــه وعن ذنوبه،ومن وعده باعطـــا (جاعت بااعطا) حوران ، لعمرو في السنـــة القابلة،ومن الاعتذار من عـــدم اعطا البقاع لمنصور بـــن الفريخ ابن بكري.واُخبِرْه بأن المحضر سيصل اليـــه بما طلب في حقّه وفي حـــقّ ابن معن . فلما انفض الديوان علـــى ذلك وقع الاتفاق على ان يحضروا في اليـــوم الثاني الى بيـــت رجل من الجند الشامي يقال لـــه تركمان (٥٦) حسن فاجتمع

= (١٦٢٠ م) ، انظر احمـــد الخالدي الصفدي ، المصدر ذاتـــه ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٩ ، ص ١٦ ، ص ٢٧ ، ص ٣٥ ، الغزي ، لطـــف السمر ، ورقة ٢١٢ ب ـــ ٢١٣ ا ، المحبـــي ، المصدر ذاتـــه ، م ٣ ، ص ٢٧١ ، م ٤ ، ص ٤٢٦ ـــ ٤٣٢ .

(٥٥) كيوان بن عبد اللـــه (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م) ، زعيم الجنـــاح العسكري بدمشق المتعاون مع فخـــر الدين المعني ، كانت نهايته على يـــد فخر الدين نفسه ، حول دوره في معركة الصراع ما بـــين العسكر في دمشـــق واستغلال العسكر للصراع القيسي ـــ اليمني في صراعهم ذاك ، انظر الغزي ، لطـــف السمر ، ورقة ٤٢ ب ـــ ٤٤ ا ، ب ، المحبـــي ، المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٩٩ ـــ ٣٠٢ .

(٥٦) تركمان حسن المقصود بـــه حسن باشا ابن عبد اللـــه الامين الكبير المعروف بشهرزة حسن مـــن صدور دمشق واعيانها الذي كـــان يرجع اليه في المهمّات ويعول عليه في الامور،وكانت تناط به امور دمشق عند غياب ولاتها . توفي سنة ١٠٢٧ هـ/ ١٦١٧م. احتلّ ابنه محمـــد دورا مماثلا الى حين وفاته سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠م ، حول حياتهما انظـــر ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٢٩ ب ، ٣٠ ا ، المحبـــي ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٤ ـــ ٢٧ ، م ٣ ، ص ٤٢٧ ـــ ٤٢٨ .

الجند كلّه في بيت الجندي المذكور ما عدا الوكيل الاكبر عن السلطان وقاضي القضاة فانهما ما حضرا ولا استحضرا.فوقع الاتفاق على كتابة مكتوب مرغوب خطابا لعلي بيك ابن جانبلاط بما سبق من الاتفاق، وعلى كتابة ديباجة محضر بأن المذكور ما وطىء ارض الشام،وان ابن معن يوصل مال السلطان في محله ، وبلاده آمنة الطرقات . فأما المكتوب فقد كَتَبْتُه وخَتَمَه اعيان الجند،واما المحضر فانه عرض على الشيخ محمد بن سعد الدين (٥٧) فما قبل معناه ولا رضي بفحواه، وابرق وارعد وما وعد ، بل توعد و (قال) انا انا لا اكتب هذا ولا ارتضيه ولا اقبله ولا امضيه ؛ فرجع الامير موسى الى ابن جانبلاط بغير المراد ، فعند ذلك قال ابن جان بلاط ما يظهر مقامي عند جند الشام الا باظهار البرهان ، واظهار السيوف البارقة والخرصان (٥٨).وقام من يومه قاصدا بلاد بعلبك وبلاد البقاع،وتخريب الاماكن والبقاع ؛ واما الامير موسى ابن الحرفوش فانه استمر هاربا من ابن جانبلاط الى دمشق، فاخبرهم بانه ترك الجماعة قصدا للموت على الطاعة ، واقتضى حضوره الى دمشق حضور جند ابن جانبلاط وحشرات ابن معن الى بعلبك فنهبوها ، والى من بقي من النسا والرجال ففرّقوها ، وخيّم ابن جان بلاط وابن معن في البقاع العزيزي ، وانحاز اليهم يونس بن الحرفوش ومن معه من اولاد عمه مغاضبا لحضرة الامير الكبير ذو القدر الخطير الامير موسى ابن عم يونس المذكور ، وخرج الجند الشامي الى الميدان الاخضر بدمشق وخيّموا هناك،واستحضروا سنجق القدس وسنجق نابلس وسنجق غزة وسنجق اللجون وسنجق

---

(٥٧) الشيخ محمد بن سعد الدين الجباوي (ت ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م) ، شيخ الطريقة الجباوية بدمشق كان ملّاكا كبيرا ، وكان يتوسط لدى الحكام نيابة عن الرعية خاصة عند زيادة الضرائب.لمزيد من التفاصيل حول حياته راجع البوريني ، المصدر ذاته ، م ١ ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦ ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٦ ب ــ ١٧ ، المحبي ، المصدر ذاته ، م ٤ ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٥٨) خرصان : جاءت خرصاز ، أما الخرصان فهي الرماح ، انظر لسان العرب ، م ٧ ، ص ٢١ ــ ٢٤ .

عجلون،واما صد فانها كانت مع فخر الدين بن معن وهو كان مع المخالفين الخارجين.ولم تزل الجند تتزايد في دمشق،وكذلك عسكر الخوارج فانه ايضا كان يزيد،وترددت الرسل في الصلح من الجانبين فما حصل اتفاق،واختلفت آراء الجند الشامي فمنهم من كان يميل الى الصلح ومنهم من كان يميل الى القتال،حتى ان ابن جان بلاط ارسل من خوارجه جماعة الى دمشق (١٥١ ب) يطلبون الصلح فلما رضي بذلك راس جاويشة العسكر الدمشقي،وهو محمد الشهير بابن الدزدار (٥٩) وخرج العسكر الشامي من الميدان الاخضر الى مكان يسمى المراد (٦٠) وزحف ابن جان بلاط وابن معن ومن معهم الى مقابلة العسكر الشامي ومع ذلك ايضا فان ابن جان بلاط كان يُظهر ارادة الصلح،فما وافق على ذلك ابن الدزدار المذكور ومن تبعه من الجند الشامي ؛ والقدرة غالبة ويد الله غالبة . وفي اواسط جمادى الآخرة من شهور سنة خمس عشرة بعد الالف زحف الفريقان،ووقع بينهما القتال،فما فاتت ساعة او قريب من ساعتين واذا بالعسكر الشامي قد رهب فهرب ، مع كثرة عدده ووفور عدده،وبالله لقد اخبرني من راى الفريقين ان خيل اهل الشام حزرت فكانت تناهز اربعين الف فرس،وكانت عدتهم وآلة (جاءت الت) حربهم في غاية القوة والمتانة،ولكن جند الله غالب وقدره سالب ؛ ولما هرب اهل الشام انقسموا فرقتين،فواحدة ذهبت الى اذرعات (٦١) في اواخر ارض حوران هربا من ابن جان بلاط

---

(٥٩) لم اعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة لدي .

(٦٠) المراد تقع الى الجنوب الغربي من دمشق .

(٦١) اذرعات ، كانت في العهد الفاطمي كما نقل ابو الفداء عن حسن بن احمد المهلبي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) صاحب كتاب المسالك والممالك المعروف بالعزيزي ، « مدينة كورة البثنية » ؛ ويذكر ياقوت انها « بلد في اطراف الشام بجاور ارض البلقاء وعمان،ينسب اليه الخمر ».في القرن السادس عشر كانت تقع في ناحية بني مقلد،وتذكرها دفاتر الطابو باسم « قرية مدينة اذرعات » وانها كانت خاص ميرميران . بلغ عدد سكانها حوالي سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م ثماني عشرة خانة مسلمة ، ليرتفع عدد سكانها حوالي سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م ، الى ثمان واربعين خانة مسلمة وخمسة مجردين وخانة مسيحية واحدة ،

وابن معن،واخـــرى رجعت الى الشام.والراجعة الى الشـــام قسمان، القسم الاول ســـاروا منفرقين مشتتين،والقســـم الثاني مكثوا في دمشق محاصرين،وغلقـــت الابواب وتهيأ من بهـــا للحراب؛فقصدها حزب العدوّ ونهبوا ما كـــان خارج السور من المســـاجد والخانات والاسواق والدور ، وانبثّ الخوارج الأشقيـــا في البيوت الواقعة خارج دمشـــق،واخذوا الأسباب عـــن آخرها الا قليلا تَخَبّوا تحـــت الارض،وأسروا كثيرا مـــن الاولاد وتحاموا الحريم مـــن النسا ؛ وذهب ابن سعد الديـــن الشيخ محمـــد الى ابن جان بلاط وهـــو نازل على قرية المِـــزّة (٦٢) فما قابله بالعزة ، وطلب منـــه حاميا يحمي محلّته المعروفة بالقبيبات (٦٣) فاعطاه

= انظـــر : ياقوت ، معجـــم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٥ ــ ١٧٧ ، ابـــو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ ، طابـــو دفتري ٤٣٠ (اسطنبـــول) ، ص ٥٥٥ ، طابـــو دفتري ٤٠١ (اسطنبـــول) ، ص ٦٧٠ .

(٦٢) المـــزة بالكسر ثم التشديد .. وهي قريـــة كبيرة غناء في وســـط بساتين دمشـــق ويقال لها مـــزة كلب . كان عدد سكانها في النصـــف الاول من القرن الســـادس عشر على النحـــو التالي :

طابو دفتري رقم (٤٠١)	طابو دفتري رقم (٢٦٣)
(ح ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) اسطنبول	(٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م) اسطنبول
(١٥٠) خانـــة مسلمة	(٢٦٢) خانـــة مسلمـــة
(٣٥) مجـــرد مسلـــم	(ـــــــــــ)
(١) خانـــة مسيحية	(٣ خانـــة مسيحية)

طابو دفتري رقم (٤٠١) ص ٦٠ ــ ٦١ طابو دفتري رقم (٢٦٣) ص ١٨٢ ــ ١٨٥

ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٥٢٢

(٦٣) القبيبات : يُعرّفها الشيخ محمـــد احمد دهمان بانها « محلة مشهورة في الميـــدان قرب الجامع الكريمي « جامع الداساق »،سميت بذلك لان اكثر بيوتهـــا ذات قباب ولا يزال بعضها باقيـــا الى الآن ».انظر القلائـــد الجوهرية في تاريخ الصالحيـــة لابن طولون ، م ٢ ، تحقيـــق الشيخ دهمان،دمشـــق ١٩٤٩ ، ١٩٥٦ ، م ١ ، ص ١١٠ (الهامش) . كان عـــدد سكان هذا الحي بموجب دفاتـــر الطابو على النحـــو التالـــي :

طابو دفتر (٤٠١)	طابو دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(ح ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م)	(٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م)	(٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م)
(٢٧٢) خانـــة مسلمة	(٢٧٩) خانة مسلمة	(٣٩٨) خانة مسلمة
(٦) مجـــرد	(٦) مجـــرد	(١٢) مجـــرد
ص ٤٤ ــ ٤٥	(١) خانة مسيحية	(١) خانة مسيحية
	ص ٤٢ ــ ٤٨	ص ٧٢ ــ ٧٩

رجلا من السكبانية يقال لـــه عقيل فمكث عنده حاميا بيتـــه وحده ، ولم يَحْمِ بيتـــا من القبيبات سوى بيته.على ان بيته قـــد اخذ منه ماله وسلاحه ودوابه وغالب مالـــه النقد،فكان الحامي يحمي لنفسه . اما اهـــل القبيبات فقد غُدِروا من شيخهـــم المذكور لانه قال لهم من رفع يـــده للقتال كان من المقتولين ، فألقـــوا سلاحهم وظنوا انهم يُرْحَمون بترك قتالهـــم فما كان القاء السلاح الا سببـــا لخراب الديار وعدم حماية الذمـــار ، فطبع عليهم الذلّ والجبن ونهبُ المـــال وبعض الاولاد،واللـــه تعالى ينتقم من اهل الغرور والعنـــاد ؛ واستمرّ النهب في المحـــلات الخارجة عن سور دمشق ثلاثة ايـــام ولم يبقوا صامتا ولا ناطقا ولا ولـــدا صغيرا من اهل الاسلام،وما نجـــا سوى اهل محلة الشاغور (٦٤) فانهـــم حاربوا الخوارج خارج السور وقتلـــوا منهم ما يزيد على ثلاثين رجـــلا بالمنصورين وقد قتل من الخوارج في الايـــام الثلاثة في نواحي بساتين دمشق وعلـــى ابوابهـــا وبين بيوتها ما يقرب من الفـــي رجل ، وغالب القتل كـــان من شباب دمشـــق واحداثها . واما ابن سيفا فانـــه لما خرج مع الجند الشامي الى القتـــال،فاستمرّ محتجبا في البيوت مع النســـا لا الرجال زاعما انـــه مريض؛ فلما بلغته كسر العسكر خاف وعَـــمّ اعضاءه الارتجاف ،

---

(٦٤) الشاغور ، احـــد الاحياء الخارجية لمدينـــة دمشق ، تذكر دفاتـــر الطابو الشاغور البرانـــي والشاغور الجواني.وكان عـــدد سكانها كما يلي :

ا ـــ الشاغور البرانـــي

طابو دفتري (٤٠١)	طابون دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(٥٥٩) خانة مسلمة	(٤٣٦) خانة مسلمة	(٥٣٦) خانة مسلمة
(٤٢) مجـــرد	(ـــــــ)	(١٧) مجرد مسلم
(٢) خانة مسيحية	(ـــــــ)	(٤) خانة مسيحية
ص ٢٦ ـــ ٢٩	ص ٨٢ ـــ ٨٨	ص ٦٢ ـــ ١١٠

ب ـــ الشاغور الجوانـــي

طابو دفتري (٤٠١)	طابون دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(٣٢٧) خانة مسلمة	(٢٦١) خانة مسلمة	(٢٢٠) خانة مسلمة
(٣٠) مجرد مسلم	(١٩) مجرد مسلم	(٨) مجرد مسلم
(٦) خانة مسيحية	(٤) خانة مسيحية	(٢) خانة مسيحية
(١٣) شريـــف	ص ٨٨ ـــ ٩٢	ص ٨٧ ـــ ٩٢
ص ٢٩ ـــ ٣٢		

فوزن القاضي دمشق وبعض اعيانها ما يزيد على مائة الف غرش،وهي التي كانت سببا لخلاص المدينة من حصار ابن جان بلاط وابن معن؛ وذلك انه اعطى المال المذكور وفتحت له ابواب دمشق ليلا ونجا براس حمراء،ونجا وخرج مع البازي عليه سواد وسار معه بعض الجند الشامي،وسار معه ايضا المرحوم الامير موسى ابن الحرفوش؛ولم يزالوا معه حتى وصل الى حصن الاكراد (٦٥) واستحصن به لانه كان محفوظا مع عمه الامير محمود ابن سيفا.وقبض ابن جان بلاط المال (١١٥٤) الذي اعطاه ابن سيفا ورحل عن دمشق بعد الايام الثلاثة، وذهب متوجها الى نواحي حلب،وسيشرب في مجلسه ما جلب وحلب. والقصة نفيسة مفيدة تذكر ان شاء الله تعالى في هذا الكتاب بالخصوص لانها مشروحة في فصل بها مخصوص،والله اعلم .

---

(٦٥) يذكرها ياقوت في عهده بقوله « حصن الاكراد على الجبل المقابل،وهو بين بعلبك وحمص.وكان بعض امراء الشام قد بنى في موضعه برجا وجعل فيه قوما من الاكراد طليعةً بينه وبين الفرنج،واجرى لهم ارزاقا فتدبروها بأهاليهم ثم خافوا على انفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه الى ان صارت قلعه حصينة منعت الفرنج من كثير من غاراتهم،فنازلوه فباعه الاكراد منهم ورجعوا الى بلادهم. وملكه الافرنج وهو في ايديهم الى هذه الغاية.وبينه وبين حمص يوم ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من ايديهم.ويذكر ابو الفداء انه كان مقرّ ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس . اما القلقشندي فيذكر انه احدى نيابات مملكة طرابلس الشام ونيابته امرة عشرة ورسم المكاتبة للنائب « النائب بحصن الاكراد ».ياقوت ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٧٦ ، ابو الفداء ، كتاب تقويم البلدان ، ص ٢٥٩ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ٢٣٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ . راجع المادة التي اوردها عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) . عن حصن الاكراد في كتابه "الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة"، تحقيق سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٢ ، الجزء المتعلق بلبنان والاردن وفلسطين ، ص ١١٥ — ١٢٠ .

انظر كذلك :

Ellsseeff, N., "Hisnal-Akrad" E. I. vol. III, PP. 503 - 506.